الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة ابن خلدون – تيارت-
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
قسم: العلوم الإنسانية

مذكرة لاستكمال متطلبات نيل شهادة الماستر تخصص: تاريخ الغرب الإسلامي الوسيط

موسومة بـ

الإنتقال السياسي في بلاد الغرب الإسلامي (الدوافع والمظاهر)

-الدولتان المرابطية والموحدية أنموذجا-

إعداد الطالبة:
- شداد إيمان

إشراف:
❖ د. عليلي محمد

أعضاء لجنة المناقشة

د. بن عودة بلقاسم ..... رئيسا

د. عليلي محمد ..... مشرفا ومقررا

أ. بورملة عربية ..... مناقشا

السنة الجامعية:

1440- 1441هـ/2019- 2020 م

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى (39) وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى (40) ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَى (41)﴾

[سورة النّجم: الآية (39،41)]

شُكْرٌ وِعِرْفَـــانٌ

قال -سبحانه وتعالى-﴿وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ [البقرة: 152]

إنّي أحمد الله -عزّ وجلّ- وأشكره على أن وفّقني بعونه وقدرته على إنجاز هذا العمل.

كما أتقدّم بالشّكر الجزيل إلى كلّ المساهمين في العمل وإلى جميع الأساتذة الذين أشرفوا على دفعتنا المباركة، وأخصّ بالشّكر الأستاذ الفاضل **عليلي محمّد** الذي لا ينبغي أبدا تناسيَ تعبه ومجهوداته وإشرافه على هذا العمل وتوجيهاته ونصائحه لي التي كانت بمثابة السّراج الذي أنار لي طريق البحث.

وإنّه لا يفوتني في هذا المقام التّقدّم بالشّكر لأعضاء لجنة المناقشة الموقّرين على قبولهم مناقشة هذه الرّسالة، وكذا إثرائها بمقترحاتهم القيّمة.

كما لا أنسى فضل كل أستاذ درسني من المستوى الابتدائي إلى الجامعي...

M7ET.COM

إهداء

أهدي ثمرة بحثي هذا وجهدي إلى

أعظم من في الوجود إلى من منحتني السّعادة وتعبت لأرتاح إلى أعظم حُبٍّ، إلى أمّي الحبيبة أطال الله في عمرها.

- إلى سراج دربي وعوني وسندي وحِبّي في الحياة، إلى من تعب لأجل تربيتي وتعليمي، أبي قرّة عيني أطال الله في عمره.
- إلى إخوتي ذكورا وإناثا:

نورالدّين، خالد، هشام، سليمة، كلثوم، عائشة، سعاد، سهام، رهف، راسيل.

- إلى جميع الزّملاء والزّميلات بقسم التّاريخ.
- إلى الأساتذة والدّاكترة بقسم التّاريخ وكلّيّة العلوم الإنسانيّة والاجتماعيّة.
- إلى كلّ من حملتهم ذاكرتي ولم تحملهم مذكّرتي.

إيمان

M7ET.COM

قائمة المختصرات:

دط	**دون طبعة**
ج	جزء
تر	ترجمة
د ت	دون تاريخ
ص	صفحة
ص ص	صفحات متتابعة
م	ميلادي
ط	طبعة
تح	تحقيق
ع	عدد
تق	تقديم
تح	تحرير
ط خ	طبعة خاصة
د د ن	دون دار النشر

مقدمة

لقد عملت الدولتان المرابطية والموحدية منذ قيامهما على توحيد بلاد المغرب بكل أقطاره تحت سلطة دينية وسياسية واحدة إلى أنه قد سجل اختلاف الدارسين حول مظاهر الحكم لكل دولة منهما وانعكاساتها السياسية والدينية على بلاد الغرب الإسلامي.

وقد اعتمدت كلتا الدولتين في توحيد بلاد المغرب الاسلامي على العصبية القبلية وذلك بتوظيفها في الدعوة الدينية الإصلاحية وذلك بتحريكها الجانب الروحي لدى طبقات مجتمع بلاد المغرب لخدمة أهداف وأغراض سياسية.

وتكمن أهمية الموضوع الذي بين يدي الموسوم ب الإنتقال السياسي في بلاد الغرب الإسلامي (الدوافع و المظاهر(– الدولتان المرابطية و الموحدية أنموذجا– في كونه يمس فترة حساسة من الفترات الهامة التي مرت بها بلاد المغرب الإسلامي وهي الفترة الانتقالية من حكم دولة المرابطين لدولة الموحدين باعتبارهما اكبر دولتين عرفهما المغرب الاسلامي، ومدى تأثير ذلك على الأوضاع في بلاد المغرب الإسلامي.

وكذلك أهمية الفترة التاريخية– فترة الانتقال السياسي في بلاد المغرب الإسلامي في الدراسة المتفحصة لتاريخ الغرب الإسلامي للكشف عن شساعة الهوة والاختلاف بينن التأثير السياسي والديني للمرابطين والموحدين داخل المجتمع المغربي.

وإن من دوافع أختياري لهذا الموضوع هو التوجهات الدينية والمذهبية المختلفة لكل دولة والتي أثرت في المجتمع المغربي الواحد والتعرف على مصادر هذا الإختلاف وأسبابه ودوافعه.

والاشكالية التي يدور حولها الموضوع هي البحث عن أسباب و كيفية الانتقال من سياسة حكم دولة المرابطين الى دولة الموحدين خلال فترة تاريخية قصيرة، و فيما تتمل العوامل و الأسباب التي أدت إلى سقوط السلطة المرابطية ،والوقوف على مظاهر هذا التطور السياسي الطارئ في بلاد المغرب الاسلامي و كيف اثرا ذلك على الخريطة السياسية و المذهبية لبلاد المغرب و انطلاقا من هذا الإشكالية يمكن أن نطرح عدة تساؤلات منها:

- ماهي السبل التي اتبعها المهدي ابن تومرت في سبيل نشر دعوته؟

- وكيف كان رد السلطة المرابطية على هاته الدعوة؟

- وكيف كان موقف الخاصة والعامة من هذا كله؟

ولأتمكن من الإجابة على هاته الإشكالية اتبعت في بحثي هذا المنهج التاريخي الوصفي التحليلي الذي يعتبر المنهج المناسب للبحوث التاريخية والحضارية خصوصا وأن سياق البحث يقتضي هذا المنهج الذي يعتبر مساعدا على استقراء الاحداث خصوصا وأن التاريخ السياسي للدولتين المرابطية و الموحدية يتميز بزخم الاحداث المتصلة طيلت مسار الدولتين المرابطية والموحدية، كما قمت بالاعتماد على خطة بحث تضمنت بعد المقدمة مدخلا للموضوع وثلاثة فصول، وقد عنونة المدخل ب التطور السياسي لدولة المرابطين حيث تضمن مجموعة من العناصر بداية من فكرة الإصلاح الديني عند يحي بن ابراهيم وتأسيس عبد الله بن ياسين للرباط وظهور البوادر الأولى لدولة المرابطين ودور يوسف بن تاشفين السياسي.

أما الفصول الثلاث فقد ألزمتنا الأحداث التاريخية الموجودة ضمن هذ البحث على دراستها بالشكل التالي حيث تضمن الفصل الأول المعنون بـ: دوافع الدولة الموحدية ثلاثت مباحث تحدثت من خلالها عن مبررات المهدوي بن تومرت في حركة الموحدية وكيف كان رد فعل السلطة المرابطية حول ذلك من خلال ما بدر منها.

كماتناولت في الفصل الثاني المعنون ب مظاهر الإنتقال السياسي في بلاد الغرب الإسلامي مبحثين تحدثت فيهما عن أشكال الانتقال السياسي وانهيار السلطة المرابطية وما كان من ارتباط ذلك بحركة المهدي بن تومرت وبينت من خلاله موقف العلماء بإتخاذ نموذج والموقف الذي بدر من العامة حول ذلك.

و الفصل الثالث والأخير فقد عنونته بتداعيات الانتقال والذي إحتوى على ثلاثة مباحث تناولت في المبحث الاول نظام الحكم الذي سادا داخل البلاط الموحدية وسبيل توطيد ملكه، بعدها تطرقت في المبحث الثاني لعقيدة الموحدين والتواجد المذهبي الجديد ومكنونات العقيدة، ومرتكزاتها بعدها تحدثت عن النظام الاقتصادي والسياسة المالية للموحدين.

وفي الأخير ختمت بحثي هذا بما استخلصته من النتائج توصلت إليها:

ومما ساعدني في إثراء هذا البحث المادة العلمية التي اعتمدتها والمتمثلة في مجموعة من المصادر والمراجع وكذلك بعض الملاحق التي أستدليت بها ، وقد تطلبت طبيعة الموضوع الاعتماد على مجموعة من المصادر من كتب التاريخ إضافة إلى مصنفات الرحالة الجغرافين وبعض كتب الطبقات والتراجم ونذكر من بينها:

- كتاب "أعز ما يطلب" لصاحبه محمد بن تومرت صاحب فكرة المهدوية والدعة الموحدية ، ويعتبر من أهم المصادر الموحدية، كونه أحد أهم الشخصيات الموحدية وصاحب فكرة التوحيد حيث أفادني هذا المصدر من خلال التعرف على شخصية المهدي و كيف كانت دعوته التوحدية .
- كتاب "**معجم البلدان**" لصاحبه ياقوت الحموي شهاب الدين أبو عبد الله (المتوفي سنة 626هـ/1228م) ويعتبر هذا الكتاب من المعاجم المهمة بالنسبة للعالم الإسلامي الذي ساعدني في التعرف على بعض الأماكن التي حلت بها بعض الشخصيات المذكورة فالموضوع .
- كتاب "**نظم الجمان في أخبار الزمان**" لمؤلفه ابن القطان أبو الحسن علي بم محمد الكتامي الفاسي (ت 628هـ/1230م) يعتبر ا الكتاب الموسوعة في تاريخ المغرب خلال هذه الفترة، ذلك أنه وقف عند الكثير من الأحداث في المغرب والأندلسي وقوفا مفصلا خاصة وأنه يعتبر من بين معاصريهم.

- كتاب "**الكامل في التاريخ**" وهو من تأليف المؤرخ المشرقي ابن الأثير عز الدين ابن الحسن المتوفي في أواخر النصف الأول من القرن السابع الهجري.
- كتاب "**أخبار المهدي بن تومرت وبداية دولة الموحدين**" لصاحبه أبي بكر بن علي الصنهاجي المكني بالبيذق المتوفي في النصف الثاني من القرن السابع الهجري، وقد جاء الكتاب يروي سيرة المهدي بن تومرت بالتفصيل الدقيق حيث كان المؤلف مرافق للمهدي وأحد تلاميذته مما ساعدني .
- كتاب "**المعجب ف تلخيص أخبار المغرب**" لصاحبه محي الدين أبو محمد عبد الواحد المراكشي، يعتبر هذا الكتاب من أهم المصادر التاريخية لدولة الموحدين، بحيث أن صاحبه عاش مطلع حكم الخليفة يعقوب بالمنصور مما سمح له بمعاصرة الكثير من أحداث هذه الدولة.
- كتاب "وفيات الأعيان وأنباء الزمان" **لصاحبه** ابن خلكان المتوفي سنة 681هـ/1283م) ويحتوى هذا الكتاب على تراجم لمشاهير علماء وشخصيات العالم الإسلامي حتى عصر المؤلف.

ومن بين المراجع التي اعتمدت عليها نذكر:

- كتاب "**معالم تاريخ المغرب والأندلس**" لحسين مؤنس والذي يعتبر من بين المراجع الشاملة التي تضم تاريخ كلتا الدولتين وكذلك.
- كتاب "**ذكريات مشاهير الرجال المغرب في العلم والأدب والسياسة**"، كما نجد كذلك كتاب تاريخ دولتي المرابطين والموجدين لمحمود السيد.

وكأي باحث أكاديمي لا تخلو طريق بحثه من العقبات فاهم ما واجهني من الصعوبات أثناء دراستي لهذا الموضوع هو تضارب في بعض الأحداث التاريخية، وكذلك عدم الوصول إلى بعض الوثائق الخاصة بالموحدين.

كما لا ننسى الظروف الاستثائية التي عشناها ولازلنا نعيشها نتيجة انتشار وباء الكورونا، وقد أثر بشكل كبير على الطالب والأستاذ من حيث صعوبة الاتصال المباشر للمشرف وصعوبات الاتصال بالمكتبات.

مدخل

التطور السياسي للدولة المرابطية

شهد المغرب الإسلامي وخاصة المغرب الأقصى تحولا سياسيا لافتا، وذلك بعد رحيل الفاطميين إلى مصر وسقوط الدولة الإدريسية، وبروز عدة قبائل كالقبائل الزناتية معظمها من مغراوة وبني يفرن والتي حاولت أن تجاري ما فعله سابقيها وتقيم لنفسها وزنا سياسيا ودولة بعد الفراغ السياسي الذي شهده هذا الجزء من بلاد المغرب، حيث فقد انسجامه السياسي، وفي ظل هذا الانقسام القبلي ستظهر على الساحة دولة جديدة تعيد الاستقرار للمنطقة وهي الدولة المرابطة[1].

1- تأسيس دولة المرابطين:

قامت دولة المرابطين على أساس دعوة دينية نشأة وازدهرت[2] في ديار صنهاجة اللثام[3] وهو فرع من قبلية صنهاجة البربرية وقد تميز الملثمون عن باقي صنهاجة باتخاذهم اللثام شعارا لهم، وهم مجموعة من قبائل لمتونة وجدالته ومسوفة[4].

آلت الزعامة في قبائل الملثمين إلى قبلية جدالة تمثلت في شخص يحي ابن ابراهيم الجدلي[5] الذي مع وبروزه ستشهد منطقة الصحراء الكبرى (موريتانيا الحالية (والمغرب الأقصى بداية تحول عمق في تاريخهم.

---

[1]- حسين مؤنس، معالم تاريخ المغرب والأندلس، مكتبة الأسرة ، مصر. يناير 1980، ص180.

[2]- موسوعة التاريخ الإسلامي (122-923هـ) وزارة الثقافة ، الجزائر، ص220.

[3]- صنهاجة اللثام: أو الملثمون فرع من قبيلة صنهاجة البربرية اتخذو اللثام شعارا لهم، ينظر: شمس الدين أحمد بن خلكان وفيات الأعيان وأنباء الزمان، تح: احسان عباس، دط، دار صادر، بيروت، 1997م، مح:7، ص128.

[4]- أبا عبيدة البكري، المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، ج2، ص857.

[5]- يحي بن ابراهيم : لم تذكر المصادر التاريخية شيء عن ولادته، ينتمي لقبيلة جدالة بأمر صنهاجة إلى غاية سنة 427هـ حيث استخلف ابنه عليها ورحل للمشرق الأداء فريضة الحج ، ينظر: على بن عبد الله القاسي ابن أبي زرع، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، دار الفكر العربي، مصر، 1923، ص122.

2- فكرة الإصلاح الديني عند يحي بن ابراهيم:

عند تولي يحي بن ابراهيم الجدلي زعامة الملثمين، رأى في قومه تفشي الفساد والفوضى، كما أن اسلامهم كان سطحيا، وهو ما جعل نفسه تتوق للذهاب إلى الحج، كما فعل أسلافه وخرج سنة 429هـ مع طائفة من زعمائه تاركا رئاسة صنهاجة لابنه ابراهيم بن يحي[1].

وكانت العادة أن يقترن الحج بطلب العلم، وبعد أدائه الفريضة انطلق الأمير يحي يبحث عن المعرفة ويرتاد مدارس المغرب الفقهية لإرواء روحه الظمئ إلى نور المعرفة الدينية[2].

وفي طريق عودته إلى بلاده مرا بمدينة القيروان بإفريقية والتقى فيها بشيخ الفقيه أبو عمران الفاسي[3]من فقهاء المالكية وانضم إلى حلقة دروسه، واستمع إليها فتاقت روح يحي الجدلي إلى رؤية فقهية مثله في بلاده يعلم أهل قبيلته، فتحدث إلى هذا الفقيه وأخبره عن اسمه وبلده و أعلمه بسعة بلاده وما فيها من خلق وأنهم قوم غلب عليهم الجهل وليس منهم من يقرأ القرآن وهم مع ذلك محبون للخير ويرغبون فيه، لو وجدوا من يقرأهم القرآن ويدرسهم العلم ويفقههم في دينهم[4].

---

[1]- محمد مجموعة عبد الله بن بيه الأثر السياسي للعلماء في عصر المرابطين رسالة ماجستير جامعة أم القرى كلية الشريعة والدراسات الإسلامية 1997، ص40-44.

[2]- سعيد عباس نصر الله دولة المرابطين في المغرب والأندلس عهد يوسف بن تاشفين، ط1، دار الهدي من العربية، بيروت، لبنان، 1985، ص20.

[3]- أبوعمران الفاسي :هو موسى بن عيسى بن أبي حاج العقجومي ولد بفاس ونزل القيروان فأخذ عن أبي الحسن الفاسي، ثم رحل إلى قرطبة ثم مصر ومكة وبغداد وأخذ من علمائها ثم عادا للقيروان فقرأ بها القرآن ثم درس الفقه واسمع الحديث توفي بالقيروان 430هـ،ينظر: الدباغ أبو يزيد عبد الرحمان بن سبعو الانصاري معالم الايمان في معرفة أهل القيروان، تح: عبد الحميد، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت؟،ج3، ص162.

[4]- حسين مؤنس، مرجع سابق، ص182.

قال له عيسى يا سيدي أن تنظر في من يتوجه معي إلى بلادنا ليعلمنا ديننا، فقال له الفقيه سوف أجتهد لك في ذلك إنشاء الله[1]، ويرى بعض المؤرخين أن أبا عمران الفاسي لم يجد من بين تلاميذه من يقبل تلبية هذه الدعوة[2].

لأنهم استصعبوا دخول الصحراء وأشفقوا منها فقال الشيخ أبو عمران ليحي بن ابراهيم "إني أعرف بلد نفيس من أرض المصامدة فقيها حاذقا ورعا أخذ عني علما كثيرا واسمه وجاج ابن زلوا اللمطي[3] أهل السوس الأقصى أكتب له كتابا لينظر في تلامذته من يبعثه معك فسر غليه لعلك تجد حاجتك عنده"[4].

فلما وصل إليه اجتمع به ودفع إليه كتابه فرحب به وأكرمه[5] واستجابة لطلب أبو عمران اختار وحاج أحد تلاميذه النبهاء لمصاحبة يحي بن إبراهيم الجدالي وهو عبد الله بن ياسين[6] وبإختياره سيبدأ عهد جديد في تاريخ المغرب الإسلامي[7].

---

[1]- علي بن عبد الله الفاسي ابن أبي زرع، الأنيس المطرب بروض القرطاس في اخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، دار الطباعة المدرسية، 1823، ص234.

[2]- أحمد بن محمد المراكشي البيان للمغرب في اخبار الأندلس والمغرب تح: إحسان عباس، ط3، دار الثقافة بيروت، 1983، ج4، ص80.

[3]- وجاج ابن زلوا للمطي:من تلاميذ الشيخ ابو عمران الفاسي، رحل إلى قيروان وأخذ العلم عنه ثم عاد إلى السوس، وبني دار سماها دار المرابطين لطلبة العلم وكان المصامدة يزرونه ويتباركون بدعائه، ينظر:ابن زيات، المصدر السابق، ص89.

[4]- أبو العباس أحمد بن خالد الناصري الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصة، تح: جعفر الناصري ومحمد الناصري، د ط، دار الكتاب، دار البيضاء، المملكة المغربية، 1954، ج2، ص6.

[5]- ابن السماك العاملي ،الحلل الموشيةكر الاخبار المراكشية، تص: بشير الفورسي، ط1، مطبعة التقدم الإسلاميو، تونس، ص09.

[6]- عبد الله بن ياسين:هو مؤسس دولة المرابطين مرسى قواعد الإسلام من قبيلة جزولة احدة القبائل السوسن دخل للتعليم، لازم الوجاج بن زلوا وتعلم على يده القرآن واستطاع أن يوصل الغسلام إلى السودان الغربي، ينظر:عبد الله كنون، ذكريات مشاهير رجال المغرب في العلم والأدب والسياسة، تر: محمد بن عزوز، ط1، دار الحزم، الدار البيضاء، المملكة المغربية، ج2، ص1421

[7]- عبد الله ككنون، نفسه، ص1421.

3- جهود عبد الله بن ياسين في تكوين الرباط:

هو عبد الله بن مكوك بن مسير على الصنهاجي اللثامي[1] العالم العلامة الفقيه من حذاق الطلبة الأذكياء النبلاء صاحب الفضل والتقي والورع[2]، ولد بقرية أودغشت طرف الصحراء غانا ولا تذكر المصادر شيئا سوى أنه رحل في طلب العلم إلى الأندلس في عهد ملوك الطوائف وأقاما بها سبع سنين وأنه حصل علما كثيرا في الأندلس[3].

ومع رجوعه إلى المغرب الأقصى ساعده الوضع المتردي الذي كان يعيشه المغرب وحالة التشتت والفوضى التي كانت سائدة في المنطقة، فحاول عبد الله بن ياسين أن ينصح ويدعوا إلى الخير وتوحيد الصفوف لتطبيق شرع الله، لكن دعوته لم تلقى أذان صاغية وبذلك ارتحل إلى ديار المرابطين[4]، حيث تتلمذ على يد شيخها وجاج بن زلوا اللمطي وقد تأثر عبد الله بشيخه واكتسب واكتسب منه صفات الفقهاء المالكية كالبعد عن السلطة والزهد والإيواء إلى الربط من أجل التقرب إلى الله[5].

دخل يحي بن إبراهيم وعبد الله بن ياسين إلى الصحراء فانتهوا إلى قبيلة لمتونة حيث أقبل أعيانها وأكابرها للقاء يحي ابن إبراهيم فرءوه يقود جمل فسألوه عنه فقال: "هو حامل سنة رسول الله قد جاء يعلم أهل الصحراء ما يلزمهم في دين الإسلام"، فرحبوا به وأنزلوه أكرم النزول[6].

---

[1]- محمود السيد، تاريخ دولتي المرابطين والموحدين، د ط، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، مصر، 2007، ص24.

[2]- العباس ابن إبراهيم السهلالي، الإعلام بمن حل بمراكش وأغمات من الأعلام، مر: عبد الوهاب بن منصور، ط3، المطبعة الملكية، الرباط، 1993، ج8، ص183.

[3]- ابن الخطيب، المصدر نفسه، ص09.

[4]- المرابطين: هم من صنهاجة الجنوب أو الملثمون عاشوا في صحراء المغرب الأقصى بين جنوبي المغرب الأقصى والمناطق المدارية حتى السعال إلى بلاد السوادان على الأنعام يركبوها لتنقلهم ويتون من ألبانها ولحومها،ينظر: محمود السيد، المرجع نفسه، ص23.

[5]- سعدون عباس نصر الله، المرجع السابق، ص123.

[6]- أحمد بن عبد الوهاب النويري، نهاية الآداب في فنون الأدب، تح: عبد المجيد الترحيبي، د طن دار الكتتب العلمية، بيروت، لبنان، 2004، ج24، ص140.

مع وصول عبد الله بن ياسين إلى ديار الملثمين هاله الوضع الذي وجدهم عليه من بعد عن الدين وخروج عن مبادئه[1]، فقد شاعت عندهم الكثير من المنكرات واستسلموا لكل أنواع العادات المرذولة فكان الرجل منهم يتزوج من النساء ما يشاء[2]، فراح ابن ياسين يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر، ويطبق علمه على أعمالهم وأعمال الناس، ولكن سرعان ما اصطدمت دعوته بأطماعهم فترضى للتصنيف والشدة من بعض وجهاء قبائل صنهاجة من جدالة حيث حاولوا قتله[3]، لذلك عزم عبد الله بن ياسين على الرحيل عنهم إلى بلاد السودان الذين دخلوا في دين الإسلام يومئذ فلم يتركهم يحي ابن إبراهيم لذلك[4] وقال له: "إني لا أتركك تنصرف وإنما أتيت بك لأنتفع بعلمك في خاصة نفسي وديني وما علي ممن ظل من قومي"[5] فقال يحي ابن إبراهيم لعبد الله بن ياسين أهل لك في رأي أشير به عليك إن كنت تريد الآخرة؟ فقال: وما هو؟ فقال: إنه هنا جزيرة في البحر[6] حيث قال ابن خلدون: هي ربوة يحيط بها بحر النيل من جهاتها يكون ضحضحا في المصيف وعمراني في الشتاء[7].

فقال ابن ياسين: إن هذا الرأي حسن فلهم بنا فلندخلها على أسم الله فدخلاها[8]، وانضم إليه بضعة نفر من جدالة ولمتونة وكانوا على قلتهم النواة كونت مجتمع جديد وقد احتذى عبد الله بت ياسين حين بني رباط[9]، حيث حذ حذوة ربط المغرب بإفريقية في طريقة بناء الرباط

---

[1]- عبد الله كنون، المرجع السابق، ص09.

[2]- علي بن أبي زرع الفاسي، المصدر السابق، ص78.

[3]- سعدون عباس نصر الله، المرجع السابق، ص22.

[4]- حسين مؤنس، المرجع السابق، ص184.

[5]- ابن ابي زرع، المصدر نفسه، ص79.

[6]- الناصري، المصدر السابق، ص07.

[7]- عبد الرحمن ابن خلدون، العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، الأكبر، د طن دار الفكر للطباعة والنشر ، بيروت، 2007، ج6، ص271.

[8]- الناصري، المصدر نفسه، ص08.

[9]- الرباط:حصن حربي يقام في الثغور الموجهة للعدو اللدود عن ديار المسلمين وهي كلمة مقتبسة من القرآن الكريم لقول الله الله تعالى:" يا أيها اللذين أمنوا اصبروا وصابرو واربطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون" آل عمران ، الآية 20، ينظر:على محمد الصلابي، المرجع السابق، ص45.

ونمط الحياة فيه من وضعه نظاما خاصا لقبول قواعد تطبيق داخل الرباط يسير عليها الجميع، وبقي مع أصحابه يعبدون الله تعالى مدة ثلاثة أشهر إلى أن تسامع الناس بهم فكثر الواردون عليهم فأخذ عبد الله بن ياسين يقرؤهم القرآن ويستميلوهم إلى الخير حتى تمكن حبه من قلوبهم، فلم تمر إلا مدة يسيرة حتى اجتمع له من تلاميذه نحو ألف رجل سماهم المرابطين لازمه راباطه ولما اتفقوا ورسخ فيهم الدين قام فيهم خطيبا فوعظهم وأمرهم بتقوى الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر[1] المنكر[1] فسارا كل رجل منهم إلى قومه وعشيرته فوعظهم وأنذرهم ودعا لهم إلى الإقلاع عما هم بسبيله من التقاليد المنافية للذين فلم يصغ لهم أحد من أقوامهم[2].

عندئذ خرج عبد الله بن ياسين بنفسه إلى أشياخ القبائل ورؤسائهم فجمعهم وحذرهم وأقام عليهم الحجة، وكان هذا اللقاء الجديد بينه وبينهم بعد القطيعة السابقة إبلاغا في النصح وقطعا للعدو، وأقام عبد الله سبعة أيام يدعوهم إلى التوبة والإنابة[3]، فلما يئس منهم قال لأصحابه لأصحابه قد أبلغنا الحاجة وأنذرنا وقد وجب علينا إجهادهم فغزوهم على بركة الله تعالى وخرج يحارب قبائل جدالة ولمتونة ومسوفة وغيرهم ،حتى أخضع قبائل الصحراء كلها وبايعته على طاعة الله ورسوله وإقامة شعائر الدين كاملة غير منقوصة[4]، فتطلب هذا الوضع الجديد من عبد الله بن ياسين إنشاء جهاز يدبر أمور المجتمع الجديد فاختار يحي بن عمر أميرا للمرابطين وأطلق عليه الأمير الحق، وكان اختصاصه أساسا النظر في شؤون الجهاد واقتصر عبد الله في شؤون الدين وأحكام الشرع وأخذ الزكاة والأعشار[5].

---

[1]- حسن علي حسن، الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس عصر المرابطين والموحدين، ط1، مكتبة الخانجي، مصر، 1980، ص21-22.

[2]- الناصري، المصدر نفسه، ص09.

[3]- ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص79.

[4]- محمد الأمين محمد ومحمد علي الرحماني، المفيد في تاريخ المغرب، د طن دار الكتب، الدار البيضاء، ص113-114.

[5]- البكري، المصدر السابق، ص861.

لما ظهر لعبد الله بن ياسين استقامة لمتونة وجدهم واجتهادهم أراد أن يملكهم بلاد المغرب فأمرهم بالخروج من الصحراء إلى الشمال[1]، فلما وصل وادي درعة انقض على مسعود بن رانودين ورجاله أصحاب السيادة على سجلماسة واستخلصها منهم واسترسل إلى الشمال فاحتل سهل مراكش سنة 460هـ/1068م[2]، وبعد استشهاد الأمير يحي بن عمر قدم الإمام بن ياسين مكانه أخاه الأمير أبي بكر بن عمر اللمتوني[3]، الذي استمر في تأييد عبد الله بن ياسين[4]، فسارت الجيوش الملثمة قدما ففتحت أغماث وانصرفت إلى قتال برغواطة وهناك قتل عبد اله بن ياسين وأجمع شيوخ المرابطين على مبايعة أبو بكر بن عمر بالإمامة حيث جمع بين الزاعمتين الدينية والسياسية[5] والسياسية[5] وتابع الأمير أبو زكرياء عمله الحربي فاستولى على بلاد السوس[6]، والمصامدة وسائر بلاد زناتة وغيرها من أقاليم المغرب وبينما الأمير أبو بكر يستريح في أغماث من حروبه إذ يأتيه خبر أنه وقعت حربا في الصحراء بين سكانه فعزما على الرحيل إليها ليحسم بين المسلمين الإخوة من التقاتل[7]، لكن قبل سفره طبق زوجته النغزواية[8].

---

[1]- ابن الخطيب، المصدر السابق، ص12.

[2]- عبد الواحد المراكشي، وثائق المرابطين والموحدين، تح: حسين مؤنس، ط1، مكتبة الثقافة الدينية، بور سعيد، القاهرةن 1997، ص16.

[3]- أبي بكر بن عمر اللمتوني:أمير مرابطي من صنهاجة الصحراء، تزعم المرابطين في 448هـ إثر وفاة أخيه يحي بن عمر بإشارة من عبد الله بن ياسين الجازيولي، توفي سنة 480هـ، ينظر:عبد الوهاب بن منصور، أعلام المرغب العربي، د ط، المطبعة الملكية، الرباط، 1978، ج1، ص227.

[4]- عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص18.

[5]- حسن احمد محمود، قيام دولة المرابطين صفحة مشرقة من تاريخ المغرب في العصور الوسطى، دط، دار الفكر العربي، القاهرة، ص220.

[6]- السوس: بلاد تقع بين الأطلس الكبير والأطلس الصغير،ينظر: محمد بن عبد المنعم الحميري، الروض المعطار في خبر الأقمار، تح: إحسان عباس، ط1، مكتبة لبنان، بيروت، 1975، ص329.

[7]- محمد الأمين محمد ومحمد علي الرحماني، المرجع السابق، ص144.

[8]- زينب بنت اسحاق النفزاوية: امرأة وصفت بالجمال والفطنة والذكاء تزوجها الأمير أبو بكر بن يوسف بن علي توفيت سنة 464هـ، لسنا الدين محمد بن عبد الله بن الخطيب اللماني،ينظر:لسان الدين محمد بن عبد الله الخطيب:الإحاطة في أخبار زعرناطة، تح: عبد الله عنان، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1977، ج4، ص523.

واستخلف ابن عمه يوسف بن تاشفين[1] على تزعم الجيش ،عمل يوسف تاشفين على استكمال الفتح ببلاد لمغرب فبدأ نجمه يعلو وشخصيته تبرز بما حققه من انتصارات منذ سنة 463هـ/1070م ، ومن هنا تبدأ نقطة تحول في تاريخ النظام السياسي للمرابطين[2]، عند استقرار استقرار الوضع في الصحراء رجع أبو بكر إلى المغرب فوجد يوسف بن تاشفين قد استبدا عليه وذلك بما أشارت به زوجته زينب النفزاوية بأن يريهم استبداد في أحواله وأن يعد له متاع الصحراء وما عاونهم ،لذلك الأمير أبو بكر وتجافى على المنازعة وسلم له الأمر[3] واستوصاه خير بالرعية وانصرف إلى الصحراء من جديد فأقام بها على جهاد السودان إلى أن استشهد سنة 480هـ[4]، ثم ثم اجمع أشياخ المرابطين بإقناع يوسف باتخاذ لقبا جديدا كأمير المسلمين وناصر الدين ويعتبر اتخاذ يوسف لهذا اللقب إيذان بانتهاء مرحلة التأسيس وابتداء مرحلة عظمة الدولة وتوسيعها[5].

4- يوسف بن تاشفين ودوره السياسي:

بعد أن تمكن يوسف ين تاشفين من تأسيس دولته ويسط نفوذه على كامل بلاد المغرب ثم معظم أقاليم بلاد الأندلس، شرع في تنظيم أمور دولته وضبط جهازها الإداري والسياسي وإحداث مناصب وتعيين أصحابها مهتما بجميع الجوانب والميادين في الدولة وقم تمثلت أهم التنظيمات السياسية والإداري في الدولة المرابطية فيما يلي:

---

[1]- أبو يعقوب بن تاشفين اللمتوني :ملك الملثمين المعروفين بالمرابطين مختلط مدينة مراكش بطل معروف زلاقة ، أول من لقب بأمير المسلمين ولد على رأس المائة الرابعة،ينظر:عبد الله كنون المرجع السابق، ص148.

[2]- مليكة حميدي، المرأة العربية في عهد المرابطين (1056-1146)، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ، 2002، ص10

[3]- ابن خلدون، المصدر السابق، ص235.

[4]- عبد الله كنون، المرجع السابق، ص1453.

[5]- محمد محمود عبد الله بن بيه، المرجع السابق، ص78.

أ- التنظيم السياسي والإداري:

تمثل تكوين جهاز الحكم في الدولة المرابطية الحاكم ونوابه والولاة والوزراء والكاتب، وقد ظل نظام الحكم في الدولة المرابطية يسير على مبدأ الشورى إلى غاية عهد يوسف تاشفين[1] الذي حول نظام الشورى إلى نظام الوراثة[2] وذلك منذ اختياره لأبنه علي كولي للعهد ابنة 496هـ الموافق لـ 1102ن وذلك لعدة أسباب منها مخافة ترك الأمر سوء بين المسلمين من بعده يفتح باب التنافس بين أبنائه وأقاربه ورجال الدولة من أجل الظفر بالإمارة وخشية تشوب فتنة بينهم من أجل الحكم يهملون من جرائها أمور الدولة خاصة شأن الأندلس التي كانت مهددة بغارات النصاري[3].

ب- الجيش: لقد اهتمت الدولة المرابطية منذ بداية قيامها بفنون الحرب والقتال ذلك أنها قامت على أساس ديني يعتمد على الجهاد إلى غاية عهد يوسف بن تاشفين [4]،والجيش المرابطي يعتمد فقط على القبيلة الواحدة هي قبيلة صنهاجة وكان قائد الجيش يوسف بن تاشفين، ولم يخضع الجيش حينها للتنظيم لإنشغال أمير دولة المرابطين بالجهاد في بلاد المغرب والأندلس، لكن في عهد ابنه على بن يوسف بن تاشفين شهد الجيش بالمغرب وقسم أخر بالأندلس وكلاهما تحت قيادة أمير المسلمين[5].

جـ- النظام المالي:

اهتم المرابطون بالجانب المالي ونظامه، وأهم ماإهتموا له في سياستهم المالية هي الجباية أو الضرائب وقد اتبع يوسف بن تاشفين تعاليم عبد الله بن ياسين التي تتوافق مع أحكام الشريعة

---

[1]- سعدون عباس نصر الله، المرجع السابق، ص161.

[2]- نظام الوراثة: هو نظام سياسي في الدولة الإسلامية حيث يقيم الحاكم للرعية من يتولى أمورهم كما كان هو يتولاها، ويكون اختيار في نسل الحاكم وبنيه فقط، ينظر: ابن خلدون، المقدمة.

[3]- حمدي عبد المنعم، محمد حسين، التاريخ السياسي والحضاري للمغرب والأندلس في عهد المرابطين، دار المعرفة الجامعية، سويس، مصر، 1997، ص248.

[4]- العباس بن إبراهيم، المرجع السابق، ص80.

[5]- حسين مؤنس، المصدر السابق، ص187.

الإسلامية في جباية الضرائب إذ كان يلتزم بجباية الزكاة والأعشار وأخماس الغنائم وجزية أهل الذمة[1].

إلا أنه بعد اتساع رقعة الدولة المرابطية لم تعد المصادر الشرعية للضرائب تكفي لسد حاجيات الدولة، مما دفع بيوسف بن تاشفين إلى فرض نوع جديد من الضرائب في دولته في كل من المغرب والأندلس وكانت هذه الضريبة تسمى بالمعونة للمساهمة في الجهاد[2].

وأما دور سك العملة في مختلف أجزاء الدولة بالمغرب والأندلس مثل أغمات وتلمسان وسلجماسة وفاس ومراكش وشاطبة وسبتة وغرناطة وغيرها من مدن المغرب والأندلس[3].

د- النظام القضائي:

بدأ اهتمام المرابطين بالنظام القضائي منذ تأسيس الدولة حيث كان لمنصب القاضي أهمية كبيرة في عهد يوسف بن تاشفين، إذ كان يعينهم من كبار العلماء دون الاستناد إلى العصبية القبلية فمعظم القضاة كانوا من غير قبيلتي صنهاجة ولمتونة[4]، إذ كان يعتمد على الدرجة العلمية للقاضي وليس لنسبه وذلك من أجل تحقيق العدالة وتطبيق تعاليم الشريعة الإسلامية[5].

[1]- بن أبي زرع الفاسي، المصدر السابق، ص102.

[2]- ابن خلكان، المصدر السابق، ص117-118.

[3]- حمدي عبد المنعم، محمد حسين، ص319.

[4]- سعدون عباس، المرجع السابق، ص166.

[5]- محمود السيد، المرجع السابق، ص35.

الفصل الأول

دوافع قيام دولة الموحّدين

المبحث الأول: مبرّرات المهدي بن تومرت في الحركة المهداوية.

المبحث الثاني: موقف السلطة المرابطية من الحركة المهداوية.

المبحث الثّالث: المواجهة العسكرية.

بعد مرور الدولة المرابطية بمرحلة النشأة و تأسيس و التوسّع ،حيث امتدتّ الدولة حدودها إلى أجزاء من المغرب الأوسط و المغرب الأقصى، و حتّى العدوة الأندلسيّة وإلى غرب إفريقيا فأصبحت بذلك دولة مترامية الأطراف ، وأينما ظهر ما يعكّر صفوها قامت بردعه، وقمعه و لكن وفي مدّة غير يسيرة ظهر في الوسط داعية جاء ناقدا ومعارضا للدّولة المرابطية وماهي عليه، مناديا بالإصلاح و تسويّة ما فسدا، فما كان من المرابطين سوى الرّد عليه.

المبحث الأول: مبرّرات المهدي بن تومرت في الحركة المهداوية.

إنّ المتفحّص للأخبار التي وصلتنا عن الموحدين وعن الحركة المهداوية يجدها تتطرق في بادئ الأمر، إلى الرّحلة العلميّة التي قام بها المهدي بن تومرت من المغرب إلى المشرق في طلب العلم وذلك في المائة الخامسة هجرية حسب ما ذكره لنا ابن خلدون[1]، وكذلك صاحب الحلل الموشية الذي أرجعها لنفس السّنة[2].

وفي خلال رحلته تلك قيل أنه لقي أبا حامد الغزالي[3] بالشام، كما جاء به صاحب كتاب "المعجب" وبعدها حلّ بالعراق لتكون مستقرّه ومقرّ تحصيله العلمي، وأقام ببغداد وتتلمذ على يد مشايخها والتي كانت آنذاك موطن ثراء علمي ومقرّا لأشهر علماء العصر في مختلف العلوم، وقبل التّطرّق إلى الخطوات الأولى التي تعد تمهيدا للدّعوة الموحّدية ، ومعرفة السّبيل الذي انتهجه ابن تومرت، لابأس أن نسرد بعض مواصفاته العلميّة والخلقيّة التي أهّلته لممارسة هذا الواجب، فعند عودة ابن تومرت من المشرق كان في عداد العلماء، فيذكر ابن خلدون ذلك فيقول له: "انطوى هذا الإمام راجعا إلى المغرب بحرا منفجرا من العلم وشهابا ورايا في الدّين" [4]، حتى أنّه اشتغلت في تدريس العلم والإفتاء بمذهب التّوحيدي".

وهو ما ذكره ابن خلدون قائلا: "حلّ بطرابلس أولى بلاد المغرب مغيبا بمذهبه الجديد في التوحيد الذي من أهم مبادئه تأويل المتشابه من القرآن الكريم والحديث الشريف مظهرا التّنكير على العلماء المغرب في عُدُولِهِ عنه فأخذ نفسه بتدريس العلم في دائرة توضيح مهذبه الجديد والأمر بالمعرف والنهي عن المنكر ما استطاع"[5].

---

[1]- ابن خلدون، المصدر السابق، ص273.

[2]- ابن السماك، المصدر السابق، ص21.

[3]- أبا حامد الغزالي بن محمد بن أحمد الغزالي الملقب بحجة الإسلام زين الدين الطوسي الفقيه الشافعي قام بالتدريس ببغداد ألف مجموعة من التصانيف في الفقه منها إحياء علوم الدين، ينظر: ابن خلكان ، الصدر السابق، ج4، ص53.

[4]- اين خلدون، نفسه، ص276.

[5]- ابن خلدون، نفسه، ص276.

وقد وظّف بن تومرت كلّ ما حصّله من علم لتحقيق طموحه السّياسي، متخفّيا وراء قناع الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر[1]، والواضح أنّه قد انتحل هذه الصّفة منذ عودته من رحلته المشرقيّة أي ابتداء من مكّة والإسكندرية وطرابلس وسائر بلاد المغرب[2].

فكان في بعض الأحيان يتشدّد في تغيير المنكر مثلما كان به الأمر في بجاية لما رأى اختلاط الرجال بالنساء فيروي البيذق ذلك قائلا: "فلّما كان يوم الفطر اختلط الرجال والنساء في الشريعة فلما رآهم الإمام رضي الله عنه –بن تومرت– دخل فيهم بالعصا يمينا وشمالا حتّى بدّدهم"[3] ، كما أنه تعرّض في ديار مرّاكش للأمير المرابطي على بن يوسف دونما اكتراث بالعواقب وأقضت إلى طرده ليستقر أيّاما بالمقبرة قرب المدينة يعلم الطلبة، لِيَشُدَّ الرّحال بعدها إلى موطنه[4] في ايجليز وفيها أعلن عن عدائه الصّريح للمرابطين وانتقل إلى تينملل بعد أن مكث بها ثلاثة سنوات[5].

فكان كلما حلّ بمكان يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، كما أنّ بن تومرت كان يبالغ في إنكار المنكر كي يكسب بجرأته هذه مكانة عند الناس، و نرى أنّ منهج بن تومرت في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أنه لم يتأثّر بالخوارج ولا بالمعتزلة في غيرتهم على الدّين[6]، أمّا الغاية من من وراء إظهار الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر فهو تحقيق هدفين هما:

1- لفت أنظار النّاس إليه في البلاد التي مرّ بها حتّى يعدّ من المصلحين.

---

[1]- عبد الواحد المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تر: صلاح الدين الوهواري، ط1، المكتبة العصرية، بيروت، 2006، ص197.

[2]- عبد الحميد حاجيات، تأسيس دولة الموحدين ، مجلة التاريخ، عدد8. المركز الوطني للدراسات التاريخية، الجزائر، 1980، ص22.

[3]- ابو بكر على الصنهاجي (البيدق)، اخبار المهدي بن تومرت وبداية دولة الموحدين، راجعة عبد الوهاب بن منصور، ط2، الطليعة الملكية، الرباط، 2004، ص20.

[4]- حسين مؤنس، مرجع سابق، ص201.

[5]- المرجع نفسه، ص201.

[6]- ابي الحسن ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج8، دار صادر، بيروت، 1982، ص85.

2- تكوين بعض دعاة السّريّين في تلك البلاد من الأفراد الذين يعجبون بمنهجه وذلك ليكونوا دعاة لأفكاره ومبادئ.

بطبيعة الحال كان هدفه الأساسي هو وصف الواقع المغربي وإبراز مفاسده في ظلّ الحكم المرابطي تمهيدا لإسقاطه، وقد تمكّن بالفعل من أن يجمع حوله الأنظار والأتباع ومن أشهرهم عبد المؤمن بن علي[1] واستطاع أن يحرّضهم.

يعتبر الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر من أهمّ عناصر الدّعوة الموحّدية، فهي المبرّر والأداة التي استعملها ابن تومرت كشعار تستّر وراءه لِيُلْفِتَ الأنظار إليه.[2]

[1]- عبد المؤمن بن علي :كان والده فخارا أي يصنع التواريخ، وكان عبد المؤمن محبا للعلم منذ صغره ولازم المساجد لحفظه، ينظر :ابن أبي زرع، مصدر نفسه، ص119.

[2]- ابن القطان، نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان، تح: محمود علي مكي، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1999، ص185.

المبحث الثاني: موقف السلطة المرابطية من الحركة المهداوية

لقد عُرِفَ عن ابن تومرت أنّه كان ينتقد الحكم المرابطين وينسبهم إلى الكفر والتّجسيم، ويدعوا إلى خلع طاعتهم ويتجوّل في الأسواق أمرا بالمعروف والنّهي عن المنكر وذلك بتكسير آلات الطّرب وإراقة الخمر بمكناسة وفي أسواق مدينة مراكش، وفي شوارعها بعد دخوله لها سنة 514هـ/1120م[1] برفقة عبد المؤمن بن علي الذي كان في خدمته، وقد بلغ ما قام به ابن تومرت لعلي بن يوسف بن تاشفين أمير المسلمين[2].

وحسب ما جاء في المصادر فإنّ المهدي بن تومرت تجاوز الحدّ في الأمر بالمعروف و النّهي عن المنكر فلم يَسْلَم منه حتّى أفراد أسرة أمير المسلمين، حيث يذكر أنّه وَبَّخَ أخت علي بن يوسف بن تاشفين منتقدا طريقة لباسها ممّا جعلها تدخل باكية على أخيها تستنجد به، كما أنّه أنكر أمرا آخر على اِبنة أمير المسلمين وبدأ بالحديث عن وجوب وضرورة تغير الأوضاع الحالية للدّولة[3].

الأمر الذي جعل الأمير علي بن يوسف بن تاشفين يأخذ أمر ابن تومرت على محمل الجدّ، فتشاور في أمره مع أهم المقربّين إليه من العلماء وهو مالك بن وهيب[4]، والذي أشار عليه بضرورة عقد مناظرة ما بين ابن تومرت وعلماء الدّولة المرابطية وفعلا عقد المناظرة وحضرها علي بن

---

[1]- من خلال ما ورد عند البيدق الذي كان يرافق ابن تومرت أنه بعد أن ترك مكناسة التجأ مباشرة إلى خمسين فنزارة وهي مدينة الخمسينيات أن حاليا ومنها إلى سلا ومن سلا مباشرة إل مراكش، ينظر: البيدق، المصدر السابق، ص2725.

[2]- علي بن يوسف بن تاشفين: كنيته أبو الحسن وقد بويع بمراكش يوم وفاة أبيه 1 محرم 500هـ تسمى بأمير المؤمنين وملك جميع بلاد السوان والأندلس، ينظر: أبي دينار القيرواني، المؤنس في أخبار إفريقية وتونس، تح: محمد شام، المكتبة العتيقة، تونس، د ت، ط3، ص101.

[3]- السلاوي، مصدر السابق، ص231.

[4]- مالك بن وهيب: رئيس العلماء في الدولة المرابطية في عهد علي بن يوسف بن تاشفين، ورد في لمعجب أنه كان ملما بجميع العلوم ويذكر أن له كتاب سماه "قراضة الذهب في ذكر لتام العرب، ينظر: عبد الواحد المراكشي، مصدر سابق، ص140.

يوسف بن تاشفين وشارك فيها ابن تومرت أمام علماء الدّولة المرابطية منهم مالك بن وهيب ومحمّد بن أسود قاضي المرْيَة، وقد شملت المناظرة مختلف العلوم[1].

وكان ابن تومرت واثقا من نفسه أثناء المناظرة فقد ابتدأ هو الكلام في المجلس العلماء والذي كان تحت إشراف أمير المسلمين علي بن يوسف، فأخذ ينتقد أوضاع البلاد وينصح ويعظ الحاكم المرابطي حتى ابكاه، وقام العلماء بالرّد عليه إلّا أنّه لم يتمكّن أحد من الحاضرين التّفوّق عليه نظرا لقوّة أدلّته وحجّته في أقواله وأفكاره التي جاء بها[2]، وانطلاقا من هذه المناظرة فإنّ مالك لمس في شخصية بن تومرت حدّة النّفس و ذكاء الخاطر ممّا جعله يشير على أمير المسلمين بقتله في قوله: "هذا رجل مفسد لا تؤمن عائلته ولا يسمع كلامه أحد إلّا مال إليه وإن وقع هذا في بلاد المصامدة ثار علينا منه شرّا كثيرا"[3].

لكن الأمير رفض قتله إلّا أنّه ضاق به ذرعا خاصّة بعد أن اِلْتَبَسَ الأمر على العلماء ومشايخ الدّولة المرابطية في مناظرته فأمره بالخروج من المدينة، وفعلا قد أجاب ابن تومرت الأمير علي بن يوسف بن تاشفين، لكنّه لم يترك مرّاكش بشكل نهائي وإنّما اتّجه إلى المقبرة[4] وأنشأ خيمة بين القبور لاستقبال أتباعه ولم يتوقّف عن نشر أفكاره والطّعن في حكم المرابطين، ووصفهم بالكفر وتجسيم وأنه هو الإمام المهدي المنتظر فَالْتَفَّ حوله حوالي ألّف وخمسمائة رجل[5].

وعندما بلغ خبره أمير المرابطين بعث إليه قائلا: "أيّها الرّجل اتّق الله في نفسك ألم أنهك عن عقد الجموع والأحزاب وأمرتك بالخروج من المدينة؟ "وقد ردّ عليه ابن تومرت بالرّد التالي:

---

[1]- السلاوي، المصدر السابق، ص232.

[2]- عبد الله علي علام الدولة الموحدية بالمغرب في عهد المؤمن بن علي ، ص59.

[3]- عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص140.

[4]- يذكر البيدق أنها جبانة ابن حيد ويس في قوله: "فحينئذ امرنا المعصوم أن تسير إلى جبانة ابن حيدوس" ، ينظر: البيدق، المصدر السابق، ص28.

[5]- ابن أبي دينار القيرواني، المصدر السابق، ص112.

"حسب ما جاء في روض القرطاس: "قد امتثلت لأمرك وخرجت من المدينة إلى الجبانة فبنيت خيمة بين الموتى واشتغلت بطلب الآخر، فلا تسمع لأقوال المضلّين"[1].

وبعد هذه الأحداث فإن أمير المرابطين علي بن يوسف بن تاشفين فكر في إلقاء القبض على ابن تومرت، لكن هذا الأخير تمكّن من الفرار بعد أن بلغه الخبر من أحد تلامذته وكانت وجهته إلى تينملل، برفقة أتباعه وكان ذلك في شهر شوال 514هـ/1120م[2]، وأسّس مسجدا يجتمع به مع تلامذته من المؤيّدين حوله، وانتدب مجموعة من التّلاميذ وأرسلهم للقبائل المجاورة لنشر دعوته وفكرة أنّه المهدي المنتظر الذي سيزيل الفساد والظّلم والجور القائم، ويملأ الأرض قسطا و عدلا كما ملئت جورا وتمّت له البيعة من أتباعه وأنصاره في جبل إيجيلز عام 518هـ ولقّبُوهُ بالمهدي وسمّى أتباعه بالموحّدين وقسّمهم إلى طبقات حسب أسبقيتهم إلى بيعته[3].

[1]- ابن أبي زرع الفاسي، المصدر السابق، ص175.

[2]- عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص223

[3]-سعدون عباس، المرجع السابق، ص127.

المبحث الثّالث: المواجهة العسكرية:

بعد أن ضم المهدي ابن تومرت إليه أتباع ونشر دعوته وتمكن من تكوين قاعدة شعبية لدعوته وتحديد موقفه من دولة المرابطين وهذه تعتبر خطوته الأولى نحو إضعاف كيان المرابطين وإسقاطهم وإقامة دولته.

انتقل تومرت إلى الخطوة الثانية والمتمثلة في الجانب العسكري والذي اتخذ اتجاهين رئيسيين يتمثل أولهما في إخضاع قبائل المصادمة[1] لم تفلت بيعتها لابن تومرت.

وثانيهما: في مواجهة جيوش المرابطين وشن الغازات على الحصون التي تأوي حمايتهم وجعل يغزوهم في أحداث متتالية دونها هو أداة إبتداءا من 505هـ/1121م [2]

كما أخذا أبن تومرت في حشد أنصار الموحدين وتحريضهم إلى قتال المرابطين محتجا بقتال أبي بكر الصديق لمن منع فرضا من فرائض الله ألا وهو الزكاة، وقرن هذا بتلك معلقا على موقف أبي بكر قائلا: كل من منع فريضة من فرائض الله حق على المسلمين جهاد حتى يأخذوها منه، فكيف لهن منع الإيمان والدين والسنة. وكل هذا الأساس كان الموحدون منضوين تحت لواء ابن تومرت في قتال المرابطين[3].

سارت ثلاث جيوش مرابطية لقتال ابن تومرت، كانت الحملة الأولى بقيادة أبي بكر محمد المتونى وقيل ابراهيم بن تيعشت وكان المهدي قد تحصنت في جبل ايجليز في مكان لا يمر من سوى فارس واحد، ولقد دارت الدائرة في هذه المواجهة على المرابطين وجندهم فولوا هاربين ولقد كانت

[1]- المصادمة: أهل وأفراد وقبائل مصمودة هي مجموعة كبرى من قبائل عظيمة من البرانس ،يستقرون بجنوب أم الربيع والأطلس الكبير إلى شواطئ المحيط ،وهي أكثر القبائل البربرية عددا وأشدها بأسا وأعرضها نقودا في الجاهلية والإسلام، ينظر: عبد الله علي علام، المرجع السابق، ص 44.

[2]- ابن القطان، المصدر السابق 81، ينظر أيضا: ابن أبي زرع الفاسي، المصدر السابق ص 178-179.

[3]- حاجيات عبد الحميد وآخرون، كتاب مرجعي حول الجزائر في العصر الوسيط، منشورات المركز الوطني للبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، الجزائر 2007،ص 120.

هذه المعركة سنة 516هـ/1123م .على أنها كانت ذات تأثر في الدعاية لابن تومرت وذيوع أمره.

ويبدو أن هزيمة المرابطين هذه أثرت في نفس بن تاشفيت فحملته على تجهيز آخر بقيادة الأمير أبي ابراهيم بن إسحاق ولكن رعبا فجائيا سرى إلى صفوف المرابطين، فركنوا إلى القرار قبل أن يبدؤا القتال[1]، فانتصر الموحدون في هذه المعركة أيضا ومن غير قتال، ثم كانت الحملة الثالثة بقيادة سيرين فودي ومهدي بن توالي فلقي ما لقي سابقيه.[2] وهكذا فقد انتهت هذه الصدمات الثلاث بهزيمة الجيوش المرابطية على يد الموحدين .

وإذا أردنا أن تأتي على ذكر الصدمات المرابطين والمهدي فلا يمكننا تلاقي وصف البيذق لغزوات المهدي، والذي يصفه بالمعصوم ويجعل المرابطين بتسميات كالحشم والزراجنة[3].

ثم تسميتهم بالمجسمين في الغزاة التاسعة كردة فعل من المهدي عن تسمية المرابطين لأتباعه بالخوارج[4].

لقد كانت هذه الغزوات موجهة كلها ضد المرابطين، عدا الغزاة السابعة التي يذكر البيذق أنها كانت ضد قبيلة هسكورة، ثم يخلص إلى أن النصر كان فيها حليفا للموحدين، يظهر لنا هذا أيضا أن المهدي كان يغير الفينة والأخرى على قبائل مجاورة، وأن القتال كان شديدا أيضا وهو ما يفسره خبر البيذق من أن المهدى شج رأسه في غزوة هسكورة وحملة أصحابه ومنهم البيذق نفسه[5].

---

[1]- عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص 91.

[2]- البيذق، المصدر السابق، ص 35.

[3]- الزرجون: هو طير أسود البطن أبيض الريش، شبه به المهدي المرابطين لأنهم بيضا الثياب سود القلوب ، ينظر: البيذق المصدر نفسه ص 36

[4]- المصدر نفسه، ص 36-37.

[5]- البيذق ، المصدر نفسه، ص 37.

الملاحظ أيضا تقليد المهدي للنبي(ص) في بعض الغزوات، فقد ادعى أن أصحابه منصورون على المرابطين بالرعب ، ثم قبضة من التراب ورميها في وجوه الجند المرابطي ،يروي البيذق أن ذلك كان في الغزاة الثانية[1].

وبسنا ندري أكان ذلك حقفا فعل المهدي أم أنها دعاية يقدمها البيذق كأحد حماة دعوة ابن تومرت والناصرين والمشيدين بها؟ لعل المهدي ذلك أراد أن يرسخ مفهوم الإتباع لدى الموحدين باقتباس بعض أفعال النبي (ص) في قتالهم لكفار قريش وذلك حتى يسلم الموحدون على الكفار الذين هم في هذه الصورة الجيش المرابطي[2].

يبدوا جليا ان ابن تومرت كان يوقن أن ذلك ليس واقعا صحيحا، ولكنه أراد استغلال نفوذه الديني هنا أيضا التحقيق مأربه السياسي تارة أخرى حسب رأي.

ونجد من أبرز المعارك التي التقي فيها الجيشين المرابطي ولموحدي موقعة البحيرة[3].

فبعد الانتصارات العديدة التي حققها الموحدون ضد القوات المرابطية اعتقد ابن تومرت أنه يستطيع غزو العاصمة المرابطية وتحطيم سلطان علي بن يوسف بن تاشفين[4].

كانت هذه التعبئة العسكرية الكبيرة من ابن تومرت حوالي سنة 524هـ /1131م على ما ذهب إليه أغلب المؤرخين، لقد كان الجيش الذي جهزه المهدي ≥ جيشا كيثفا يبلغون أربعين ألفا

[1]- ابن الأثير، المصدر السابق، م9، ص 514.

[2]- الناصري، المصدر السابق، ح2، ص 84.

[3]- البحيرة :بستان كبير المساحة يسمى البحيرة وقد أسند إليه الموحدون ظهورهم وساروا يقاتلون من جهة واحدة، ويعرف المكان أيضا ببحيرة الرقائق بسبيط كان أمام باب الدباغين وباب ايلان بمراكش حيث حدائق أكدال، ينظر: البيذق، المصدر نفسه، ص 40.

[4]- عقيلة غناي، المرجع السابق، ص 84.

أكثرهم رجال، وجعل عليهم الورنشريسي وسير معهم عبد المؤمن ....≤ ، وبقدم لنا الناصري تفصيلا صغيرا من هذه المهمة فيقول بأن المهدي خص عبد المؤمن بإمامة الصلاة [1].

كما كان قوام الجيش الموحدي الذي نزل من سفوح من جبال درن باتجاه العاصمة المرابطية مراكش أربعين ألف مقاتل، فنزلوا وساروا إلى مراكش حصروها وضيقوا عليها، وقد دامت مدة الحصار حسب رواية البيذق أربعين يوما [2].

لما تسامع لأمير المؤمنين علي ابن يوسف بمسير الموحدين إلى مراكش أعد جيشا كثيفا يبلغ حوالي المائة ألف رجل وجعل عليه ابن الزوبير بن علي بن يوسف، لم يكتفي أمير المسلمين بهذا فحسب وإنما بادر إلى مراسلة متولي سجلماسة يأمره أن يحضر معه الجيوش، وهو ما يشير إليه البيذق في قوله : " فلما كان بعد الأربعين يوما اقبلت العساكر نحو مراكش"، فقد كانت الصورة والحالة هذه تعني وجود قوات موحدية بمعنويات منهارة، بعد الهزائم المتوالية التي طالتهم من المهدي بن تومرت وجنوده [3].

ونظرا لأكثرت الجند من الجانبين وتفرقهم على أبواب مراكش وأحوازها فإنه يعتقد أن القتل بين المرابطين والموحدين لم يكن مباشرا على دفعة واحدة وإنما سبق ذلك مناوشات بين الفرقين، فظهر للمراطين عند إذ اعتداد بالنفس في قتال الموحدين الذين شكلت هزيمتهم حافزا قويا عاد الجيش المرابطي أمجاده وجدد ثقة المقاتل المرابطي بنفسه، حيث أنه ربما حركت هذه الهزيمة بنفسه الإيمان بقتاله للموحدين على انهم خارجون عن الأمير مارقون عن الجماعة.[4]

على إثر هذا الإنهزام الاول للموجدين على يد قواد الحرص النصراني المرابطي خرجت الحشود المرابطية لقتال الموحدية، وكانت القيادة لأبي محمد واندين بن سير، فالتقو لقاء كما قال ابن

[1]- الناصري ، المصدر السابق، ج2، ص 85.
[2]- البيذق، المصدر السابق، ص 32.
[3]- علي علام المرجع السابق، ص 97.
[4]- ابن الأثير، المصدر السابق، م9، ص 514.

خلكان "ثبت الله فيه أقدام المرابطين وهزم الموحدين وسائر المصامدة وقتل منهم في ذلك اليوم أزيد من أربعين ألفا"، فكانت الهزيمة كبيرة مني بها الموحدون بعد الإنتصارات المتكررة في حروبهم على المرابطين[1].

وقيل أن الجيش الموحدي لم ينجو منهم إلى إلا نفر يسير، إنها الهزيمة نكراء يعبر عنها أحد الكتاب الموحدين بحالة من التذمر والحزن عند قوله "وهزمونا بالعشي، ونجا الموحدون ومات من مات افترقي الناس"[2]، ولم ينقذ ما تبقي من موحدين إلا جنوح الليل وهطول المطر، فارتد عبد المؤمن بمن معه من الموحدين إلى أغمات، فكان بينهم وبيم المرابطين معركة اخرى كان قوام الجيش الموحدي فيها إثنا عشرة ألفا فهزموا أيضا وقتل منهم عدد كبير يقدره القطان بإثني عشر ألفا[3].

هذه الموقعة التي اعقبت هزيمة البحيرة تجعل القول بأن الجيش الموحدي قد فني عن أخره في لقاء الأول إذ أن اثنا عشر ألفا من المقاتلين لبأس به.

لقد علم ابن تومرت وهو على فراش المرض بأمر الهزيمة القاسية فسارع إلى الإطمئنان على عبد المؤمن فلما قيل له إنه حي استشر خيرا، وطمأن الموحدين ببقاء أمره[4]، لقد كان البيذق هو من نقل هذا الخبر إلى المهدى بأمر من عبد المؤمن بن علي ، وكان رد فعل ابن تومرت على هذا الخبر المفجع ليس بمقدار المأساة وإنما كان سؤاله مباشرة عن بقاء ابن علي، وهو الذي توسم فيه ابن تومرت صفات القيادة منذ أول لقاء لهما في ملالة، فعبد المؤمن بن علي كان الاهم في نظر المهدي من تلك الجموع الغفيرة من المقاتلين المصامدة الذي ماتوا في ساحة المعكرة ضد المرابطين[5].

[1]- ابن خلكان، المصدر السابق،م5، ص 53.

[2]- البيذق، المصدر السابق، ص 38-39.

[3]- عبد الله عناب، المرجع السابق، ص 186.

[4]- ابن الأثير، المصدر السابق، ص 514.

[5] -مؤلف مجهول ، الحلول الموشية، المصدر السابق، ص 84.

لقد كانت هذه الموقعة – البحيرة- بتاريخ يوم السبت 12 من جماد الثانية من سنة 524هـ الموافق ل 13 مارس 1130م[1].

وفي هذه السنة توفي ابن تومرت أي انه لم يلبث بعد هذه الهزيمة كثيرا ،ومات في شهر رمضان فيتفق ابن القطان صاحب الحلل على أن تاريخ وفاته كان في رابع عشر من رمضان من نفس السنة، بينما يتفق البيذق وابن أبي زرع على أن ذلك كان في الخامس والعشرين من رمضان من نفس السنة (524هـ)[2].

مباشرة وبعد هذه الهزيمة لم يرد أمير المسلمين علي بن يوسف بن تاشفين أن تفلت الفرصة من بين يديه خاصة وأن الموحدين كانوا يمرون بوقت عصيب وحالة من الانتكاس والانهزام ، فأراد أن يستأصلهم عن بكرة أبيهم فأعد أربعة جيوش، ولكن يبدوا ان أقصي ما كان في هذا النزال هو بعض المناوشات ولم يكن قتال شديد، وهو ما عبر عنه البيذق بقوله "فلما رأوا منا ما لا يطيقون رجعوا إلى مراكش ونحن إلى تينملل"[3].

ولكن الأمر لن يستمر على هذا الحال من السكون والهدوء بل إنه ستظهر مناوشات أخرى بين المرابطين و خليفة المهدى بن تومرت على الموحدين وهو عبد المؤمن بن علي الكومي.

[1]- الغناي، المرجع السابق، ص 260.

[2]- ابن أبي زرع الفاسي، المصدر السابق، ص 180.

[3]- البيذق ، المصدر السابق، ص 40-41.

الفصل الثاني

مظاهر الانتقال السياسي في بلاد الغرب الإسلامي

المبحث الأول: سقوط السلطة المرابطية.

المبحث الثاني: موقف العلماء والعامّة من الانتقال السياسي (القاضي عياض نموذجا).

بينما كان المرابطون ماضين في جهادهم ضد النصارى الأندلس وعاملين على بناء وتوحيد بلاد المغرب تحت راية واحدة، قامت عليهم ثورة المصامدة التي عصفت بعمر دولتهم و ادت الى سقوطها، وهي في عنفوان عملها وجهادها وتجلت في الآفق حركات مناوئة ورافضة لهاته الدعوة الجديدة، واخرى أيدتها وكانت بمثابة القوة التي دعمت ابن تومرت وقوت شوكته.

المبحث الأول: سقوط السلطة المرابطية

كان سقوط الدولة المرابطية سقوطا متدرجا وذلك نتيجة عدة عوامل جاءت متلاحقة.

فنجد أول هذه العوامل هو انحراف نظام الحكم المرابطي من نظام الشورى إلى نظام وراثي، الذي سبب نزاعا عنيفا على المنصب ولاية العهد بين أولاد علي بن يوسف مما ساهم في إضعاف الوحدة السياسية، وكذلك ظهور السفور والاختلاط بين النساء والرجال حيث بدأت الدولة المرابطية تفقد طهرها وصفائها خاصة في آخر عهد الأمير علي بن يوسف بن تاشفين، مما جعل الرعية المسلمة من المرابطين تتدمر من هذا الإنحراف والفساد وتستجيب لدعوة محمد بن تومرت الذي أظهر نفسه لناس زاهدا وأمرا للمعروف وناهيا عن المنكر.

ولا ننسي كذلك الأزمات الاقتصادية الحادة التي مرت الدولة المرابطية نتيجة لانحباس المطر عدة سنوات، وحلول الجفاف والقحط للمغرب والأندلس [1]

كلها أسباب ساهمت في إضعاف الدولة المرابطية وهز كيانها و التعجيل في اسقاطها، لكن ما يعتبر العامل الأساس والمعضلة الحقيقية التي واجهت الدولة المرابطية وقيام جبهة اخرى على نفس الأرض مناقضة ومعادية لها وهي الموحدين [2]، الذين كانوا تحت قيادة عبد المؤمن بن علي من بعد وفاة المهدى بن تومرت.

إذ باشر عبد المؤمن بن علي قيادة الموحدين بعد أن تمت له البيعة بعد وفاة المهدى بن تومرت[3]، ولكن المصادر لتكاد تذكر أي تحرك للموحدين بعد وفاة المهدى بن تومرت مباشرة، وربما بأن هذه الفترة كان لا يزال اتباع المهدي بن تومرت منشغلين بالسيطرة على الامور، وربما قد

---

[11]- علي محمد الصلابي، تاريخ دولتي المرابطين والموحدين في الشمال الافريقي، ط3، دار المعرفة للنشر والتوزيع، لبنان، 2009 م، ص 233-235.

[2]- حسين مؤنس، المرجع السابق، ص 210.

[3]- الغناى ، المرجع السابق، ص 275.

تكون هذه الفترة واصل فيها عبد المؤمن بث تعاليم المهدوية وتنظيم الصف الموحدي عقديا وعسكريا لمباشرة مرحلة الحسم في الصراع عن المرابطين [1]

على ان عملية كهذه لا تتطلب فقط الحشد والتعبئة والعسكرية، فيتطلب بالموازاة مع ذلك الدقة في التحرك العسكري توقيتا وكيفية ، ليتضح من خلال تحرك عبد المؤمن وعلي السيطرة على اراضي المغرب أمران:

أ- اتسفادة من الأخطاء السابقة.

ب- التوجه شرق لقطع امتداد الدولة ثم الاجهاز على المدن من المهم إلى الأهم.

فبعد الهزيمة التي لحقت بالموحدي في البحيرة كان على قادة الموحدين – عبد المؤمن بن علي- إدارك أن المواجهة في سهول والمناطق المكشوفة لم يحن وقتها بعد، وهذا ما حمل عبد المؤمن على الرجوع إلى طريقة الكر والفر في القتال على أن تكون المناطق الجبلية منطلقا للحملات الموحدية، وحصنا تلجأ إليه القوات عنده ما يحدق بها الخطر المرابطي[2].

هذا المنهج في القتال ينم عن موهبة في القيادة يتمتع بها عبد المؤمن بن علي، إذ يمكن ايجاز التحركات العسكرية الموحدية في عهده في ثلاثة اتجاهات رئيسية:

أ- التوجه شرقا لإخضاع شرق المغرب الأقصى وبعض بلاد المغرب الاوسط.

ب- الإجهاز على الدولة المرابطية ودخول مراكش.

ج- مواصلة الغزو للمغرب الأدنى إلى طرابلس الغرب.

[1]- الناصري، المصدر السابق، ج2، ص 92.

[2]- سعدون عباس، المرجع السابق، ص 218.

ابتدا بن علي أولى غزواته خارج قواعد الدولة الموحدية في تينملل وكان ذلك على الأرجح سنة 526هـ/ 1131م ، وتمكن الموحدون في هذه السنة من غزو درعة والفتك بحوالي عشرين ألفا من أهلها في انتصار ساحق لعبد المؤمن والموحدين[1].

وفي نفس هذه السنة تمكن عبد المؤمن من هزيمة الحامية المرابطية في ثازاكورت وقتل عاملها، وكذلك افتتح حصن تاسيغموت وقت واليه المرابطي أبوبكر بن ورصوال، بما كدت تأتي على الموحدين سنة 530هـ/ 1135م حتى كانت منطقة السوس كلها تحت سيطرتهم[2].

فلما حمى عبد المؤمن ظهره فكر جاليا في الاتجاه شرقا لإخضاع المدن والقرى في شمال المغرب، فقد سلك عبد المؤمن في طريقه لهذا الغزو طريقا حساسا وهو طريق تجاري معروف، كذلك لعلمه مدى تأثير التجارة لرعية وحياتهم، كذلك لإستمالة أهل الجبال وادخالهم في دعوة الموحدين، ربما ليأمل على جيشه من جهة وليكتسب جنوده يتقوى بهم في المواجهة مع المراطبين من جهة أخرى[3].

لقد كانت أغلب المواجهات بين المرابطين والموحدين تنتهي بنصر الموحدين، إلى أن كان اللقاء الحاسم في تازة وتلمسان سنة 534هـ، لقد كان أمر المرابطين قد آل ذاك إلى تاشفين بن علي بعد وفاة أبيه ،في أثناء هذه المواجهة إنحاز سكان أهل الجبال الموحدين وهذا ما عجل بدخول الموحدين لمدينة تلمسان[4] سنة 539هـ/ 1144م والتي كان الأمير تاشفين بن علي فلما

[1]- البيذق ، المصدر السابق، ص 46.

[2]- المصدر نفسه، ص 48.

[3]- عبد الواحد المراكشي المصدر السابق، ص 96.

[4]- تلمسان: تقع بالمغرب الأوسط وهي احدى قواعده تتكون من ضاحيتين متجاورتين إحداهما قديمة وأخرى حديثة اختلطها المرابطون ملوك ،واسم الضحية الحديثة تاغررات والقديمة أغادير ،ينظر: ابن ابي دينار القيرواني، المصدر السابق، ص 102.

اشتد الحصار الموحدي لها لجأ الأمير تاشفين إلى وهران [1]، طالبا الأسطول الأندلسي ولكن عبد المؤمن سبقه إليها، وحاصر في الجبل المطل عليها فلما اقتحم الموحدون الحصن الذي كان يختبئ فيه الأمير المرابطي ولى هذا الأخير هاربا بفرسه وارتدى من شاهق الجبل فلقية حتفه وحمل رأسه إلى تينملل[2].

على اثر ذلك اقتحم الموحدون وهران وأثخنوا في قتل المرابطين حتى فني معظمهم وذلك يوم عيد الفطر من سنة 539هـ/ 1144م ، وكانت مذابح وهران هذه من افضع المظاهرة التي تميزت بها سياسة الموحدين، وبهذا فقد سيطر الموحدون على مدينة وهران وتلمسان في نفس الفترة الزمنية[3].

وبعد أن تم لعبد المؤمن وعلي تنظيم الشؤون منطقته التي ترعرع فيها ولى وجهه قبل فاس لاقتحامها، حيث قام الجيش الموحدي لمحاصرتها لمدة تسعة أشهر حتى افتتحها في 13 ذو القعدة سنة 540هـ/ 1145م ، ومن ثم كان الدور على مكناسة والتي هزم المرابطون فيها جيش عبد المؤمن الذي ارسله إليها أثناء حصاره لفاس، مما اضطر عبد المؤمن لمباشرة غزو مكناسة بنفسه في ستة ألاف فارس، في هذه الأثناء وصلت كتب أهل سبتة بالسمع والطاعة والدخول في حزب الجماعة يعنى بذلك مبايعة للموحدين، ولى عبد المؤمن على أهل سبتة يوسف بن مخلوف بهذا لم يتبقى امام عبد المؤمن إلا الشمال الغربي للمغرب لإدخاله في طاعة الموحدين ثم اسقاط مدينة مراكش واعلان نهاية المراطبين، لذلك فإن عبد المؤمن وعلي وأثناء سيره إلى مراكش مال إلى سلا فافتتحها بيسر[4].

---

[1]- وهران : بينها وبين تلمسان مساة مرحلتين او ثلاثة مراحل، وهي مدينة تقع على ظفة البحر ساحلية تتميز بالاسواق والتجارة والصنائع الكثيرة، وهي تقابل مدينة ألمرية من ساحل الأندلس، ينظر : عبد الله علي علام ، المرجع السابق، ص 138.

[2]- عبد الله كنون ، المرجع السابق، ص 1438.

[3]- العروى، المصدر السابق،ص 314.

[4]- ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص 309.

ما نلاحظه هو أن الموحدين وهم في خط تصاعدي وهم يهمون بدخول فاس تولى امارة المرابطين أبو اسحاق ابراهيم، ولكنه قوبل بخروج عمه اسحاق بن علي ودعائه لنفسه، فانقسم المرابطون داخل العاصمة مراكش والتي كانت أهم مدينة ماتزال تحن حكم المرابطين[1].

في هذه الأوقات كانت قبائل صنهاجة وزناتة ومسوفة تدعم الصف الموحدى وتزيده قوة إلى قوته، فبعد سالا وبرغواطة سار الجيش الموحدي إلى العاصمة المرابطية مراكش، في آخر خطوة للقضاء على المرابطين في العاصمة.[2]حيث باشر عبد المؤمن هذه العملية بتاريخ 1 محرم من سنة 541هـ/ 1146م بجبل ايجليز، وقد بنى له محلة أنزل بها جنده كما بنى مسجدا لإقامة الصلاة[3].

وهذا دليل على تشبث عبد المؤمن لمراكش وملازمة أحوازها وضرورة دخولها مهما طال الزمن، كما تدل على المدة الزمنية التي بلغها حصاره لمدينة مراكش والتي قدره ابن خلدون بتسعة أشهر، وخرج المرابطين في نحو خمسة ألاف وخمسمئة من الفرسان في شدة وعزم دفاعا عن عاصمتهم، بل إن أقل ما يمكن قوله أنهم لم يكونوا ينوون الاستسلام واليأس لعبد المؤمن وعسكره الموحدي لكنهم انهزموا وقتل عدد كبير منهم [4]، وفأقام عبد المؤمن الحصار عليهم وضيق عليهم إذا أن حصار تسعة أشهر مدة كافية لانزال الضيق والشدة بسكان مراكش، هذا الحصار وصفه البيذق قائلا: "وبقيت المدينة لا يدخلها داخل ولا يخرج منها خارج"، وهذا دليل آخر يقدمه لنا البيذق في دقة لفظ تدل على شدة تطويق الموحدين مدينة مراكش .[5]

يذكر لنا البيذق طريقة دخول الموحدين لمراكش فيعزو ذلك إلى حيلة دبرها عبد المؤمن وهي حيلة السلالم، حيث أنه صنعت سلالم قسمت بين القبائل على حد قوله: "قد دخل هنتاتة

[1]- ابن عذرى، المصدر السابقن ص 24.

[2]- عبدالله عنان، المرجع السابق، ص 255.

[3] ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص 310.

[4]-ابن غدرى، المصدر السابق، ص 27.

[5]- البيذق، المصدر السابق، ص 46.

وأهل تينملل من باب دكالة بسلمهم، ودخل صنهاجة وعبيد المخزن بسلمهم من باب الدباغين"[1].

وهناك رأي آخر ذهب إليه صاحب الحلل الموشية يذكر فيه أن الجند النصارى اتصلوا بعبد المؤمن يريدون أن يفتحوا له بابا في المدينة على ان يؤمنهم، وتم ذلك ففتحت مراكش في يوم السبت الثامن عشر من شوال من عام واحد وأربعين خمسمئة، ودخل عبد المؤمن أخر وأهم معقل للمرابطين العاصمة مراكش[2].

باستلاء الموحدين على عاصمة المرابطين يكونو بذلك قد بسطوا سيطرتهم على المغرب الأقصى وبعض بلاد المغرب الاوسط، فيكونوا بذلك قد ساروا قوة جديدة في المغرب الإسلامي بدل الدولة المرابطية التي قتل الموحدون آخر ملوكها أبو اسحاق ابراهيم[3].

[1]- البيذق، المصدر السابق، ص 65.

[2]- مؤلف مجهول، الحلل الموشية، ص 87.

[3]- الغناي، المرجع السابق، ص 305.

المبحث الثاني: موقف العلماء والعامّة من الانتقال السياسي (القاضي عياض نموذجا)

بعد أن سقطت الدّولة المرابطية وحلّت مكانها الدّولة الموحّدية والتي كانت على نقيض الدّولة التي سبقتها أي –الدّولة المرابطية–، والتي أسّسها ابن تومرت الذي ادّعى المهداوية وابتدع لهم عقيدة خاصّة وجديدة كانت نتاج خليط من الأفكار والمذاهب التي تطلع عليها و تاثرا بها، وحاول هو وأتباعه نشرها في بقاع المغرب الأقصى إمّا طوعا أو كراهية ،عن طريق القتل والإبادة ظلما وزورا، فتراءات للعيان مواقف متضاربة منها المؤيّدة ومنها الرّافضة، من أبرزها مواقف العلماء والعامّة:

1– موقف العلماء (القاضي عيّاض):

الأحداث التي توالت على الدولة المرابطية أثارت حفيظة بعض العلماء والفقهاء الذين بقوا على المذهب المالكي من أبرزهم الفقيه "القاضي عياض"[1] ،والذي كان قاضيا آنذاك بسبتة[2]، حيث رأى قسوة وجبروت ووحشية الموحّدين في التّعامل مع خصومهم ومن عارضهم ومن لم يقدّم البيعة لهم، فخاف على أهل سبتة من أن يصيبهم ما أصاب أهل مدينة سلا المغربيّة[3]، الذين قام الموحّدون بذبحهم عن بكرة أبيهم عندما حاولوا مقاومتهم والوقوف في طريقهم، ورأى أنّ من المصلحة أن يدخل هو وأهل سبتة في طاعة الموحّدين حتّى تستقرّ الأمور، وبالفعل حدث الذي كان ودخل تحت إمارتهم وفي زمرتهم، وكان ذلك في سنة 540هـ وأقرّه الموحّدون على منصب القضاء بسبتة.

---

[1]– القاضي عيّاض: هو القاضي أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض بن عمروا بن موسى اليَحْصُبِي السَّبْتِي، ولد في سبتة عام 476هـ، برع في العديد من الأمور كالقضاء والفقه والحديث والشعر، ينظر: بن خلكان، مج5، المصدر السابق، ص127.

[2]– سبتة: هي مدينة ساحليّة تطلّ على شاطئ البحر الأبيض المتوسّط، كما أنّها تعتبر مرفأ يقع على مضيق جبل طارق، وهدي مدينة كبيرة ومسوّرة بِسُورٍ من الصّخر محكم البناء والبحر محيط بها شرقا وشمالا، ينظر: ابن أبي زرع الفاسي، المصدر السّابق، ص201.

[3]– سلا: كانت تسمّى في القديم شالة على بعد ميلين من البحر، وهي مدينة حسنة حصينة في أرض رمل ولها أسواق وتجارة، ينظر: الإدريسي، المصدر السّابق، مج1، ص238.

أخذ القاضي عيّاض في تسير شؤون سبتة حسب الشّرع والعدل، وهو في نفس الوقت يفكّر في كيفية التّصرّف وإيجاد حلّ لما آلت إليه أمور المغرب الأقصى، لكن بعد أن قام الموحّدون باقتحام مدينة مرّاكش أين قاموا بذبح أهلها وَسَبْيِ نسائها وهدم المدينة بأكملها بما فيها المساجد والزّوايا والمدارس بدعوى أنّها مدينة نجسة وأهلها مشركون ،اتّباعا لما كان يتّهمهم به ابن تومرت من الكفر والتّجسيم[1].

أيقن القاضي أنّه لا سبيل للتّعامل مع هؤلاء إلّا بمحاربتهم، فكان موقفه من هذا هو الخوض في الحياة السّياسية والحربيّة ضدّهم، حيث قرّر الاتّصال بزعيم المرابطين يحي بن غانية وكان هو الوحيد الذي بقي من كبار قادة المرابطين بالأندلس، وقد استطاع أن يسيطر على جزر الأندلس الشّرقيّة، فتواصل معه القاضي عيّاض ونسّق معه من أجل القدوم إلى مدينة سبتة وطلب منه أن يعيّن واليّا على سبتة فبعث معه يحي بن أبي بكر الصّحراوي، فأصبحت بذلك مدينة سبتة خارجة على الدّولة الموحّدية وعادت إلى حكم المرابطين وذلك سنة 543هـ، حيث قام السّبتيّون بقتل عامل الموحّدين وأصحابه ، إلى أنّ الموحّدين لم يتغافلوا عن هذا وأمر عبد المؤمن بتحريك الجيوش الموحّدية إلى هذه المدينة وقمع ثورتها وإخمادها .

وتولى قيادة جيوش الموحدين عبد المؤمن بن علي الذي استطاع بجيشه أن يحتل مدن المغرب مثل مدينة فاس ومراكش وغيرها، ورأي القاضي عياض أن المصلحة العليا لمدينة سبتة وأهلها في أن يبايع عبد المؤمن حفاظا على الأعراض والأموال، وتجنيب المدينة الدمار وقبل أمير الموحدين تلك البيعة الاضطرارية [2].وعادوا البيعة من جديد للموحدين الذين قبلوا ذلك واشترطوا إبعاد القاضي عياض عن مدينته إلى مراكش وقيل إلى ثادلا إلى أن توفاه الله تعالى في عام 544هـ.

[1]- أبا عبيدة البكري، المصدر السابق، ص861.

[2]- عبد الله كتون، المرجع السابق، ص1427.

إن موقف القاضي عياض كان منسجما مع عقيدته وعلمه ودعوته في محاربته للموحدين الذين اعتقدوا عصمة إمامهم المهدي بن تومرت والتي اعتبرها من العقائد البدعية[1].

كما أن القاضي عياض لم يكن من أهل السنة وحسب ولكنه كان فقيه أهل السنة آنذاك على الإطلاق، لذلك رأى أنه يجب الوقوف أمام دعوة ابن تومرت، وينبغي التخلص منها حتى حانت أول فرصة، وإن يكن قد بايع فالبيعة آنذاك كانت حفاظا على سلامة بلديته وأهلها[2].

2- موقف العامّة:

لقد عرف عن ابن تومرت أنه كان ينتقد حكم المرابطين وينسبهم إلى الكفر والتجسيم، ويدعوا إلى خلع طاعتهم ويتجول في الأسواق أمر بالمعروف وناهيا عن المنكر وذلك بتكسير آلات الطّرب وإراقة الخمر في كلّ مكان يحلّ به[3]، وقد فعل هذا أيضا في أسواق مدينة مرّاكش، وفي شوارعها بعد دخوله إليها سنة 514هـ/1120م، مما دفع الناس إلى الاقتراب منه والتعرف على شخصه ومبادئه عن قرب وتأييده فيما يقول فكسب بذلك تأييدهم له، بعد ذلك انتقل ابن تومرت لمدينة تينملل والتي بدأ فيها هي كذلك بكسب الأتباع والأنصار ،وذلك نتيجة ما يملكه من أسلوب الخطابة الملهم والعلم الغزير ما جعله يؤثر في العقول ويكسب القلوب بسهولة[4].

وبدأت الوفود تأتي لابن تومرت للإستماع لمواعظه ودروسه فيقنعهم بمنهجه و ما يدعو إليه بإستمالتهم بطريقة حديثه و نصائحه ، التي كانت تدل على أنه شخص طالب للأخرة فبقوا بذلك تحت طوعه ورهن إشارته.

ولكن أكيد أنهم لم ينصاعوا له بهذه البساطة لأنه يعلم كيف يخاطبهم؟ ولذلك وعندما أحس ابن تومرت بشكوك البعض نحوه ونحو كلامه قام ابن تومرت بعدة حيل وخدع ليقنع من

[1]- علي محمد الصلابي، المرجع السابق، ص227.

[2]- حاجيات عبد الحميد، المرجع السابق، ص33.

[3]- حسين مؤنس، المرجع السابق، ص 196.

[4]- محمد الأمين محمد ومحمد علي الرحماني، المرجع السابق، ص121.

حوله بكلامه وإثبات صلاحه فقام بالاتفاق مع أحد أتباعه وهو عبد الله الونشريسي[1] ،على العيش بين الناس كأنه مجنون يمشي ولعابه يسيل وملابسه مقطعة ولا يستطيع ركوب الدواب وإذا ركب عليها سقط أرضا، اتفق معه ليمثل هذا الدور وكتمان ما هو عليه من العلم والقراءة والفصاحة على أن يداوما على أخذ العلم في السر، وذلك لفترة محددة حتى يقتنع أهل القبائل بجنونه، ثم يفصح عن ذلك دفعة واحدة عندما يطلب منه ابن تومرت ذلك فيكون بمثابة المعجزة فيصدقه الناس ويزداد إيمانهم بدعوته[2].

ويؤرخ ابن الأثير لحادثة الظهور والإفصاح فيجعلها سنة 519هـ/1125م وهو تاريخ حادثة التمييز التي قام بها ابن تومرت بالاتفاق مع الونشريسي لتطهير صفوف الموحدين من الأعداء والمشككين في ابن تومرت وعقيدته، إذ يروي ذلك ابن خلكان عند استدعاء ابن تومرت للونشريسي فيقول له: «هذا أوان إظهار فضائلك دفعة واحدة ليقوم ذلك مقام المعجزة لتستميل بك القلوب من لا يدخل في الطاعة»[3].

لقد زعم البشير عنده ذلك قائلا: «أتاني الليلة ملك من السماء فغسل قلبي وعلمني القرآن والموطأ وغيره من العلوم والأحاديث»[4]، وكان هذا بعد أن ظهر البشير بثياب حسنة ورائحة طيبة عطرة بعد طول بلهه وغبائه ،فقام ابن تومرت عند ذلك مظهر جهله بالبشير وأمره بامتحان فيما ادعى من الإعجاز فقال له: « نحن نمتحنك فقال: إفعل، وابتدأ يقرأ القرآن قراءة حسنة من أي موضع سئل، وكذلك الموطأ وغيره من كتب الفقه والأصول»[5].

---

[1]- عبد الله محسن الونشريسيي: من أهل المغرب الأوسط لقي المهدي بن تومرت بجبال الونشريس عندما كان راجعا من رحلته بالمشرق، البيذق، المصدر السابق، ص19.

[2]- عبد الحميد حاجيات، المرجع السابق، ص68.

[3]- ابن خلكان، المصدر السابق، ج05، ص52.

[4]- ابن الأثير، المصدر السابق، ج9، ص199.

[5]- نفسه، نفس الصفحة.

جرى كل هذا في بيئة مصمودية جاهلة فكان له الوقع الكبير في نفوسهم وإنها معجزة خارقة تقتضي التسليم لابن تومرت.

ثم وجه ابن تومرت للبشير سؤالا أخر حسب رواية ابن خلكان وذلك بعد الإمتحان: «فقال له محمد، فعجل لنا بالبشرى في أنفسنا وعرفنا أسعداء نحن أم أشقياء؟ فقال له أما أنت فأنت المهدي القائم بأمر الله، ومن تبعك سعدا، ومن خالفك هلك ثم قال اعرض أصحابك علي حتى أميز أهل الجنة من أهل النار وعمل بذلك حيلة قتل بها من خالف أمر محمد وأبقى من أطاعه...»[1].

ولجأ كذلك لحيل أخرى ليسكت بها من لا زال في ضميره شك اتجاهه، فرسم خطة جديدة مع الونشريسي، وفي يوم من الأيام خرج البشير للناس فقال لهم «إن الله تعالى قد أعطاني نورا أعرفه أهل الجنة والنار وأمركم أن تلتقوا أهل النار وتتركوا أهل الجنة... وقد أنزل الله تعالى ملائكة إلى البئر في المكان الفلاني يشهدون بصدقي»[2]، فتحرك الناس وعلى رأسهم ابن تومرت لمكان البئر وعند وصولهم صلى ابن تومرت ركعتين وتوجه للبئر وقال: « يا ملائكة الله... إن عبد الله الونشريسي قد زعم كذا وكذا»[3]، وفجأة سمع الناس أصوات من داخل البئر تأكدو كلام الونشريسي ،هذه الأصوات لم تكن أصوات الملائكة وإنما أصوات أتباع ابن تومرت الذين كانوا جزء من الخدعة التي خطط لها ابن تومرت وليضمن عدم فضح خدعته تلك قام بردم البئر بتراب والحجارة بمن فيها من أتباعه مخافة أن ينكشف أمره، وبحجة أن هاته البئر بئر مقدسة[4].

وهكذا استمر ابن تومرت في خداع الناس عن طريق حيله وخدعه المتكررة حتى سيطر على عقولهم وكسب قلوبهم وتأييدهم.

---

[1]- ابن خلكان، المصدر السابق، ج5، ص53.

[2]- ابن الأثير، المصدر السابق، ج9، ص199.

[3]- المصدر نفسه، نفس الصفحة.

[4]- علي علام، المصدر السابق، ص102.

هذا من جهة ومن جهة أخرى كانت المعارك التي دارت بين المرابطين والموحدين في المغرب وبين المرابطين والنصارى في الأندلس، ساهمت في إضعاف الدولة المرابطية وهزت المجتمع المرابطي[1].

وكذلك لا ننسى أثر الحروب والمجاعات والجوائح التي شهدها المجتمع المرابطي والتي عصفت بالعديد من أرواح الطبقة العامة بالمغرب والأندلس وفي هذا الشأن يقول ابن عذرى: «... وترمق سائر الناس بالجلود والأصماغ وعروق السوس، ومن دون هؤلاء بالفئرة والقطط»[2].

من الجوائح التي حصلت في مدينة طنجة سنة 520هـ حيث دمر معظم المدينة، وبعدها بسنة حصل حريق ضخم في سوق مدينة فاس وكان هذا السوق تجاري محوري كانت معظم القوافل التجارية بالمغرب تمر منه وبالتالي ضاعت فيه أموال كثيرة وافتقر الناس بسببه[3].

هذه العوامل دفعت بالعامة إلى تبني أفكار المهدي ابن تومرت خاصة وأنه ظهر بزي المصلح والمنقذ الذي يغير حالهم غلى حال أفضل.

كانت لابن تومرت عبقرية تنظيمية ومنهجية وأهداف سياسية سعى بكافة الوسائل والأساليب لتحقيقها، ساعده في ذلك سذاجة القبائل المحيطة به وجهلها بحقيقة معتقداته في النجاح والانتشار، الشيئ الذي ساهم في إضعاف الدولة المرابطية و قلبا الموازين ضدها مما جعلها في حالة ضعف و عجل في سقوطها .

[1]- العروي، المرجع السابق، ص328.

[2]- ابن عذاري المراكشي، ج4، ص38.

[3]- المصدر نفسه، ص29.

الفصل الثالث

تداعيات الانتقال في بلاد المغرب الإسلامي

المبحث الأول: الإنتقال السياسي والإداري.

المبحث الثاني: التحول المذهبي.

لمبحث الثالث: الإنتقال الإقتصادي.

بعد أن إستتب الأمر للموحدين واستقر أمر البلاد والعباد لهم تحت راية حكمهم ودولتهم الموحدية ذات التوجهات الجديدة، وهذا بفضل ما تميز به عبد المؤمن من ذكاء وما سبقه به المهدي ابن تومرت ممهدا بذلك الطريق له، بدعوته ونشر أفكاره التوحيدية، فما كان على عبد المؤمن سوى تنظيمية لدولته وأنظمتها السياسية والإدارية وحتى المذهبية والإقتصادية، وهذا ما سنتناوله في هذا الفصل.

المبحث الاول: الانتقال السياسي

إن التنظيم السياسي والإداري عند الموحدين سبق تأسيس الدولة، فقد قام ابن تومرت أثناء دعوته بتنظيم وتصنيف جماعة الموحدين إلى طبقات فنجد طبقة العشرة وأهل الخميس وأهل السبعين[1]، إلى أنه بعد وفات ابن تومرت ونظرا لاحتياجات الدولة الإدارية عرف جهاز الحكم بعض التغيرات على يد عبد المؤمن بن علي وأصبح يشمل على:

1) **الحاكم**: وهو الخليفة، فقد اتخذ الحاكم الموحدون لأنفسهم لقب الخليفة إتباعا لأول حاكم تلقب بهذا اللقب وهو عبد المؤمن بن علي[2] الذي تلقب به على إعتباره أول خليفة للمهدي، ولم تخرج الخلافة عن بني عبد المؤمن فقد جعل الخلافة متوارثة في بنيه، حتى سقوط الدولة الموحدية[3].

كما أنه كان كل خليفة موحدي يكتب لإبنه بالبيعة في حياته وأول من قام بهذا هو يوسف أبو يعقوب بن عبد الله المؤمن[4].

بعد توليه الحكم قام بترك الخلافة لإبنه وتوارثته إياها من بعده فكتب بالبيعة في حياته لإبنة يعقوب بن يوسف[5].

---

[1]- تذكر بعض المراجع أن المهدي ابن تومرت أنشأ حكومة ديموقراطية سابقة لأوانها بحوالي ثمانية قرون، فجماعة العشرة كانت أشبه بمجلس الوزراء، وجماعة الخمسين أشبه بأعضاء مجلس الشيوخ، وأما جماعة السبعين فقد كانت تمثل مجلس التواب في الحكومة البرلمانية، ينظر: عبد الله علام، المرجع السابق، ص68.

[2]- عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص146-147.

[3]- المصدر نفسه، ص147.

[4]- يوسف بن عبد المؤمن: وهو يوسف بن عبد المؤمن بن عالي أمه حرة لأسمها زينب، وكان عبد المؤمن يستخلف ابنه علي مراكش إذا خرج منها، بنظر: المصدر نفسه، ص174.

[5]- يعقوب بن يوسف: وهو يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن بن علي الكومي، ولد عام 555هـ، بويع في 19 ربيع الثاني 580هـ، توفي سنة 595هـ، ينظر: العباس بن ابراهيم، ج10، ص226.

هذا وقد تلقب الخلفاء الموحدون بلقب أمير المؤمنين ذلك أن المهدي ابن تومرت كان يلقب أصحابه بالمؤمنين ويجعل نفسه أميرا عليهم[1]، كما أن تلفظ ابن تومرت باللقب الخليفة للحاكم الذي يليه كأنه حث وأمر للموحدين بإنشاء خلافة أسلامية ببلاد المغرب مستقلة نهائيا عن الخلافة الإسلامية بالمشرق[2]، وحثهم على أن يكون لهم ببلاد المغرب خليفتهم ويكون من الموحدين ويتلقب بالخليفة ليتضح أنه ليس لخليفة المشرق الإسلامي سلطة عليه، وليسوا بتابعين له، وأن دولة الموحدين مستقلة تماما عن الدولة الإسلامية بالمشرق[3].

2) الوزراة: كان لنظام الوزراء دور في بلاط الدولة الموحدية وقد بدأ نظام الورزاء مع بداية أول عهد خليفة وأستندت إلى الوزير أو الوزراء أعباء الحكم والإدارة، ويتوجيه الخليفة وإرشاده واطلاعه على أهم شؤون الدولة[4].

فقد عهد عبد المؤمن بن علي في أواخر أيامه بالوزراء إلى إبنه السيد أبي حفص[5]، وقد تولى هذا الأخير بعد وفات والده في عهد أخيه أبو يعقوب يوسف منصب الحجابة وهو ما يجمع بين الوزراء والإمارة وبقي بها، وقد كانت مناصب الوزراء والحجابة تبقى حكرا على الأبناء والإخوة وحتى المناصب الأقل أهمية في الوزارة لم تكن لتخرج عن نطاق القبائل الموحدية[6].

الجيش:

إن أولى بدايات الجيش الموحدي كانت في عهد المهدي بن تومرت حيث جعل الموحدين طبقة الجند والغزاة والرماة وجعل قيادتهم في أيدي أعضاء طبقة أهل العشرة[7].

---

[1]- عبد الواحد المراكشي، المصدر نفسه، ص141.

[2]- البيذق، المصدر السابق، ص47.

[3]- ابن خلدون، المصدر السابق، ص213.

[4]- حسين مؤنس، المرجع السابق، ص209.

[5]- السيد أبي حفص: هو نفسه عمر بن عبد المؤمن الكومي، المراكشي، ص149.

[6]- ابن الأثير، المصدر السابق، ص320.

[7]- عبد الله علي بن علام، المرجع السابق، ص76.

وقد تزايدت أعداد الجيش الموحدي نظرا لدخول العديد من القبائل في طاعة الموحدين، وقد كانت مراكش مركز قيادة الجيوش الموحدية بها وحدات الجيش، كما كانت بعض المناطق مراكز لتخزين المؤنن وأقوات الجيش كالمناطق الواقعة بين سلا وسبتة[1].

وقد تضمن الجيش الموحدي نظامين من التجنيد أحدهما إجباري والأخر تطوعي، فأما النظام الإجباري فيقصد به الجند النظاميون والمسجلة أسمائهم في ديوان الجند ويصرف لهم عطاؤهم ورواتبهم من بين المال، أما النظام التطوعي يقصد به جموع المتطوعين الذين يلحقون بالجيوش من أهل الأندلس والمغرب ثم يصرفون في أوقات السلم[2].

وأما عن أرزاق الجيش الموحدي فقد كانت حسب الرتبة في الجيش وقد اختار الموحدون اللون الأخضر كرايات للجيش الموحدي، كما اهتم الموحدون بالأسطول البحري من خلال اهتمامهم بدور صناعة السفن وكذلك في نقلهم لمركز القيادة من الأندلس إلى المغرب[3].

[1]- أحمد بن خالد السلاوي، المصدر السابق، ص315.

[2]- حسين مؤنس، المرجع السابق، ص145.

[3]- البيذق، المصدر السابق، ص32.

المبحث الثاني: التحول المذهبي

كانت الدعوة الموحدية في بداياتها ترتكز على الدعوة إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لتتحول فيما بعد إلى دعوة دينية مذهبية، كانت نتاج للعديد من المذاهب والآراء المختلفة التي استنبطها وتأثر بها ابن تومرت من خلال رحلته إلى المشرق لطلب العلم وما تلقاه هناك، وذلك يجعل عقيدة الموحدين خليط بين الاعتزال والمذهب الخارقة التي تنسبه إلى التصوف[1].

ويبدوا أيضا أن ابن تومرت وجد أرضية خصبة تقبل أفكاره أو خليط أفكاره إن صحا التعبير لأن الناس في ذلك الزمان كان يستهويهم مثل هذا الشخص ويسرهم لأن يجدوا إنسانا يتحدى الحكومة ورجالها، سواء أكان على حق أم على باطل ومن ثم فكل ناقد لهم يكون على صواب[2] ولو لم يكن كذلك، إن ابن تومرت أعلن بضرورة تفسير القرآن تفسيرا مجازيا استنادا إلى أفكار أبا حامد الغزالي التي تأثر بها.

إذ أخذ ما ورد في القرآن بأن الله يرى ويسمع وأن له يد...الخ، فهذه الصفات مجرد صور ومجازات أما إذا أت بالمعنى الظاهر وقيل لله عيونا يبصر بها، وإذانا يسمع بها فقد اتصف الله بصفات من ذاته وأصبح على شكل إنسان، وبذلك أخذ المتكلمون المرابطون وبالتالي هدموا التجربة، ووحدة الله المطلقة أو توحيد، وانتهوا إلى الشرك والتشبيه[3].

إذن تصور ابن تومرت لوحدة الله هي النقطة الأساسية في مذهبه وعلى أساس هذا التصور أصبح مدافعا عن المذاهب الذي أسس له والذي سماه التوحيد وسمى أتباعه الموحدون[4].

---

[1]- مبارك الميلي، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، دار الكتاب العربي، الجزائر ، ج3، 2007، ص10.

[2]- حسين مؤنس، المرجع السابق، ص207.

[3]- جورج مارسيه، بلاد المغرب وعلاقاتها بالمشرق الإسلامي في العصور الوسطى، تر: محمود عبد الصمد الهيكل، راجع: مصطفى أبو ضيف أحمد، منشأة المعارف الإسكندرية، مصر، 1999، ص292.

[4]- المرجع نفسه، ص293.

كما أن ابن تومرت وضع ركائز أقام عليها كيان دعوته وعقيدته ثم دولته بعد ذلك والمتمثلة فيما يلي:

1- النهي عن المنكر:

لا شك أن الأمر بالمعروف والنهب عن المنكر يعتبر من مقتضيات الإيمان فقد قال تعالى: ﴿ **كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ**﴾[1]، فمن خلال هذا نجد أن ابن تومرت نصب نفسه أمرا بالمعروف وناهيا عن المنكر، فتكمن ابن تومرت من شد انتباه العامة من الناس إليه، والتمكن من تكوين أتباع سريين يكونون عونا له، إذ يذكر البيذق: «أنه كان لابن تومرت بمصر واحد وخمسون رجالا من أهلها وكانوا له مثل أعضائه وجسده، سامعين لقوله مجيبين لأمره، مؤمنين به...»[2]، فإن ابن تومرت ظهر بمظهر الفقيه الزاهد الذي يحاول تغيير ما أمكن من المنكر المتفشي في أوساط المسلمين والثورة ضد خصومه كمارقين عن الشريعة وأحكامها مقصرين في طاعة الله تعالى[3].

2- الأشعرية:

أثناء رحلة ابن تومرت لطلب العلم بالمشرق كان من بين المدارس التي ألقاها في العقيدة مدرسة الأشاعرة في العقيدة يشير إلى ذلك ابن خلدون في قوله:« وحملهم على القول بالتأويل والأخذ بمذاهب الأشعرية في كافة العقائد»[4]، وهو ما تمثل في الرسالة المرشدة[5]، في العقيدة التي جعلها ابن تومرت لقومه المصامدة، فصارت عندهم كما يذكر ابن القطان: «كالقرآن العزيز لأنه

---

[1]- آل عمران، الآية 109.

[2]- الصلابي، المرجع السابق، ص206.

[3]- حسين مؤنس، المرجع السابق، ص209.

[4]- ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص32.

[5]- الرسالة المرشدة، سميت بالمرشدة لأنها ابتدأت بقول ابن تومرت اعلم أرشدنا الله وإياك، ينظر: ابن تومرت، أعز ما يطلب، تح: عمار طالبي، موفم للنشر ، الجزائر، 2011، ص226.

وجدهم قوما جهلة لا يعرفون شيئا من أمر الدين ومن أمر الدنيا»[1] وهي رسالة على قصرها وقلة كلماتها إلا أن تناول ابن تومرت لتلقينها لقومه بهذا الشكل اعتبر فصلا بين مرحلتين من مراحل تطور الوجود الأشعري في بلاد المغرب:

الأول: مرحلة الحضور الفردي الخافت للمذهب الأشعري.

الثانية: الحضور القوي بكونها عقيدة دولة قائمة هي دولة الموحدين[2].

ويبدوا أن ابن تومرت قد تأثر بالغا بأشاعرة المشرق ولكن ابن تومرت أضاف إلى الأشعرية التي تعلمها تعديلات في شكل مفاهيم اعتزالية في مسألة الصفات، يذكر المراكشي ذلك بقولة:« إلا أنه في إثبات الصفات فإن وافق المعتزلة في نفيها وفي مسائل قليلة غيرها»[3] ويمكن أن يكون ابن تومرت أراد بذلك إظهار عجز المرابطين عند مناظرتهم والظهور عليهم بالحجة والبرهان، فحديثه في الأصول كان مقصودا لإظهار ضعف عقيدة المرابطين.

ولقد تهيأ لمرشدة ابن تومرت جملة أسباب جعلتها تنتشر في المشرق والمغرب:

1- الاختصار فقد كانت وجيزة بليغة لا تكاد تتجاوز الصفحتين[4].
2- خلوها من دعوى المهدوية ولعلها من أوائل رسائل ابن تومرت عند مقدمه من المشرق.
3- خطوة المرشدة سياسيا في دولة ابن تومرت وفي عصر خليفته بن علي بعده[5].

[1]- عبدالله عنان، المرجع السابق، ص175.

[2]- مغزاوي مصطفى، البعد السياسي في انتشار المذهب الأشعري في المشرق الإسلامي والمغربي، كنوز الحكمة، الجزائر، 2011، ص35.

[3]- المراكشي، المصدر السابق، ص162.

[4]- ابن تومرت، المصدر السابق، ص226.

[5]- مغزاوي، المرجع السابق، ص92-93.

ولعل من أهم الآراء في العقيدة التومرتية ما علق عليه ابن تيمية فهو «ينسب مرشدة ابن تومرت إلى التعطيل لا من باب انتماء صاحبها إلى الحركة الباطنية بل من باب تأثره برواسب الجهمية ولاعتزال والفلسفة»[1].

3- العصمة:

من بين الدعاوي التي ميزت حركة ابن تومرت والتي جعلت حركة مثار جدل القول بالعصمة والمهدوية. لقد أعلن ابن تومرت عن عصمته ومهدويته في خطبة قصيرة يوردوها ابن القطان في نظم الجمان قائلا:« الحمد لله الفعال لما يريد، القاضي بما يشاء لأراد لأمره ولا معقب لحكمه، وصلى الله على سيدنا محمد رسول الله، المبشر بالإمام المهدي الذي يملأ الأرض قسطا وعدلا كما ملئت جورا وظلما، يبعثه الله إذا نسخ الحق بالباطل، وأزيل العدل بالجور، مكانه المغرب الأقصى منيته وزامنه آخر الزمان واسم النبي عليه الصلاة والسلام ونسبه نسب النبي صلى الله عليه وملائكته الكرام المقربون عليه وسلم، وقد ظهر جور الأمراء، وامتلأت الأرض بالفساد وهذا آخر الزمان والإسم الاسم، النسب النسب والفعل الفعل»[2].

فأعلن عن صفات للمهدي ففهم المخاطبون أنها صفاته وأنه هو فهرعوا إليه وبايعوه على أنه المهدي المنتظر والإمام المعصوم[3].

ولعل هذا ما جعل كثيرا من المؤرخين يقرون أن ابن تومرت كانت فيه نحلة شيعية وهذا ما أورده صاحب المعجب عند قوله في ابن تومرت بأنه:« كان يبطن شيئا من التشيع، غير أنه لم يظهر منه إلى العامة شيء»[4]، وهو على ما يبدوا ويشير إلى مبدأ آخر ربما يكون ابن تومرت قد

[1]- العروي، المرجع السابق، ص304.

[2]- عبد الله عنان، المرجع السابق، ص173.

[3]- نفسه، نفس الصفحة.

[4]- المراكشي، المصدر السابق، ص162.

تلبس به بالإضافة إلى مبدأ العصمة والمهدوية، وهو مبدأ التقية وهذا المشار إليه في قول المراكشي لأنه لم يكن يظهر منه للعامة شيئا.

ويقر ابن خلدون كذلك أيضا ويجعل ابن تومرت قد تتبع تعاليم الشيعة الأساسية في ذلك رأسا، يذكر أن ابن تومرت «كان من رأيه القول بعصمة الإمامة على رأي الامامية من الشيعة»[1].

إن إعلان ابن تومرت لعصمته في قوله : «ولا يكون الإمام إلا معصوما»[2]، توحي بإطلاعه على تعاليم الشيعة الإمامية وهو قد وافقهم في مسألتين من المسائل الأربعة التي جعلوها متعلقة بالإمامة هذه المسائل هي: العصمة والمهدية والرجعة والتقية[3].

نخلص في مسألة العصمة إلى أن ابن تومرت آمن بمبدأ العصمة كما هو معتقد به عند الإمامية، إذ جعلوا الإمامة والعصمة من الزيغ والزلل وهي خصلة معارضة بنصوص القرآن حتى بالنسبة للأنبياء عليهم السلام.

4- المهدية:

إن المهداوية كانت تعني أولا العصمة وإلا لما صح عليه أن يدعي المهدوية وهو غير معصوم من الكذب، فلما ادعى المهدوية وتلبس بها كان مصدقا فيما يقول لأن العصمة كانت أول ما يجب أن يعتقد فيه.

ومما يلاحظ ابن تومرات التي أعلن فيها عن مهدويته أنه جعل الأسباب الاجتماعية المؤذن الأول بظهور المهدي عندما يقول: « يبعثه الله إذا نسخ الحق بالباطل، وأزيل العدل بالجور... وقد ظهر جور الأمراء وامتلأت الأرض بالفساد».

[1]- ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص302.

[2]- إبن أبي زرع الفاسي، المصدر السابق، ص229.

[3]- ابن تومرت، المصدر السابق، ص176.

ليشفع لابن تومرت في تصوره للمهدوية قوله: «وعرفوا حق أبا بكر عظموه إعظاما لحق الله، ثم بعد عمر فقام بالحق أحسن القيام...»[1] وهو يذكر أبا بكر وعمر في هذا السياق على أنهم كانوا الأئمة الذين كانت تؤدي لهم الحقوق بع رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وهذا ما يجعل من الأقرب إلى الصواب القول بأن المهدوية عند ابن تومرت لم تكن استنساخا لعقيدة المهدي عند الشيعة، وإنما كانت من بين « أهم الحركات المهدوية القليلة النادرة في إطار الفكر السني»[2].

على هذا الأساس الذي قامت عليه مهدوية ابن تومرت تخلص إلى أنها كانت مظهرا من مظاهر المعارضة للنظام القائم وكذلك مما عرف عن الموحدين أنهم استقلوا تماما عن الخلافة الإسلامية الشرعية في بغداد وقطعوا الدعاء وكل أشكال الولاء لها.

بل وتلقب ابن تومرت بالمهدي وادعي العصمة وتلقب خلفاؤها من بعده "بأمير المؤمنين" أما في الأواسط المرابطية لم تكن حينها توجد تسمية للموحدين إلا "الخوارج"[3] وذلك لخروجهم عن طاعة الحاكم الحق[4].

[1]- ابن تومرت، المصدر السابق، ص482.

[2]- عقلية الغناء، قيام دولة الموحدية، منشورات جامعة قاريونس، بنغازي، ط2، 2008، ص208.

[3]- ابن غازي المكناسي، الروض الهاتون في أخبار مكناس والزيتون، الرباط، 1952، ص08.

[4]- البيذق، المصدر السابق، ص44-45.

المبحث الثالث: الانتقال الاقتصادي

اهتمت الدولة الموحدية بالنظام المالي خاصة أمر الجباية لأنها اتخذتها حجة وشعارا في محاربة الدولة المرابطية، حيث كان عبد المؤمن يؤكد على الالتزام بما أوجبه الشرع في شأنها كالزكاة والأعشار، لكن بعد اتساع رقعة الدولة الموحدية دفع عبد المؤمن لإيجاد سبل أخرى من الجباية فقام بمنح أراضي إفريقية والمغرب، ثم فرض الخراج على ما بقي من الأراضي الصالحة للزراعة، فأصبح لزما على قبيلة تأدية خراجها من الزرع والمال[1].

وقد تنوعت بمرور الوقت الضرائب التي صارت تفرضها السلطة الموحدية على مختلف المعاملات كالبيع والشراء والصادر والوارد، إضافة لأموال النصارى واليهود الذين بقوا بأراضي الدولة الموحدية.

هذا وقد قامت الدولة الموحدية بعدة إجراءات مالية من أهمها مضاعفة وزن الدينار الموحدي الذي حسن الظروف الاقتصادية.[2]

كما نجد اهتمام السلطة الموحدية بالجانب الزراعي والتجاري والصناعة:

1- الزراعة:

اهتم الموحدون بالزراعة حيث شجع الخلفاء المزارعين على استغلال الأرض كما اهتموا بتوفير المياه اللازمة للزراعة.[3]

وقد لجأ ولاة الأمر عند الموحدين لمنع بعض الأراضي الزراعية إلى الجنود وغيرهم من طبقات المجتمع الموحدي على شكل أقطاعات وذلك لاستثمارها وقد ساعد هذا على ازدهار

[1]- عبد الله علي علام، المرجع السابق، ص265.

[2]- حمدي عبد المنعم، محمد حسين، ص377.

[3]- المرجع نفسه ، ص378.

الزراعة ونموها، وقد منح أيضا الموحدون الأراضي الزراعية إلى كل من تقرب إليهم أو دخل في طاعتهم[1].

ومن بين أهم المحاصيل الزراعية التي اهتم بها الموحدون هي القمح والشعير لكون القمح والشعير يسدان حاجيات الغذائية إضافة إلى الزيتون، حيث انتشرت زراعته بفاس ومكناسة واهتموا بمزروعات أخرى كذرة والقطن وقصب السكر[2].

2- الصناعة:

اهتم الموحدون بالصناعة على اختلاف أنواعها المعدنية والنباتية الخشبية والحيوانية كصناعة الجلود وغيرها، واستقدم عبد المؤمن بن عي من الأندلس مجموعة من المهندسين والصواغين والناقشين والنجارين وغيرهم لعزمه على كسوة مصحف سيدنا عثمان رضي الله عنه.[3]

ومن أهم المراكز الصناعية ببلاد المغرب في عصر الموحدين مدينة فاس والتي تنوعت لها دور الصناعة ومراكش التي اشتهرت بصناعة الزرابي والمنسوجات وحتى الصابون أما المدن الساحلية مثل سبتة وطنجة فقد اشتهرت بصناعة السفن وهي أهم الصناعات التي اهتم بمها الموحدين[4].

إضافة إلى هذا فقد كان أهل مدينة سبتة يستخرجون المرجان من البحر ويصنعونه عقودا ويصدرونه إلى غانة وجميع بلاد السودان، كما ازدهرت صناعة الورق، كما اشتهرت تلمسان بصناعة المنسوجات القطنية والصوفية أما صناعة السلاح فقد كانت منتشرة في معظم بلاد المغرب وذلك لسد حاجات الحملات العسكرية المتكررة[5].

---

[1]- حمدي عبد المنعم، محمد حسين، المرجع السابق، ص376.

[2]- ابن الأثير، المصدر السابق، ص301.

[3]- ابن أبي زرع الفاسي، المصدر السابق، ص218.

[4]- عبد الله كنون، المرجع نفسه، ص1432.

[5]- أبا عبيدة البكري، المصدر السابق، ص865.

3- التجارة:

اهتم الخلفاء الموحدون أيضا بالتجارة وعملوا على تنشيطها بعدة أساليب منها بناء الفنادق حيث أنشأ المنصور الموحدي عدة فنادق بمراكش، ولها وظيفتين تخزين السلع وتوزيعها بالجملة والثانية إيواء النزلاء من التجار والوافدين[1].

هذا وقد عمل الخليفة يوسف بن عبد المؤمن على اسقاط الضرائب وتزريع الأموال والعفو على المسجونين سنة 563هـ بمناسبة تجديد البيعة وذلك كله من أجل تنشيط التجارة[2]، هذا وقد عملت الدولة الموحدية على اختلاف مراحلها على العناية بالتجارة الداخلية والخارجية وتشجيع التجار وتصدير السلع المختلفة من مزروعات ومصنوعات، وحتى أسماك وسلع حيوانية كالجلود والصوف، كما أنها كانت تستورد كل ما تحتاج إليه حتى ولو كان موجودا ببلاد المغرب[3].

وكان خلفاء يشرفون على الأسواق ويتبعون تحركاتهم ونشاطاتهم وذلك عن طريق توظيف أمناء الأسواق لمراقبة الأعمال التجارية داخل الأسواق[4].

وقد نشطت أيضا التجارة الخارجية في بلاد المغرب على عهد الموحدين وذلك لإرتباط المغرب الأقصى بمراكز التجارة الخارجية بعدة طرق برية أهمها: الطريق الجنوبي الذي يمر بسلجماسة ودرعة منجها إلى أودغشت ثم منحى النيجر وحتى المناطق الممتدة للغرب[5].

كانت للأوضاع السياسية والاقتصادية في الدولة الموحدية خلال فترة تأسيسها وازدهارها الأثر الواضح والبالغ في جعل أمور البلاد مستقرة، وتشجيع الخلفاء للناس لممارسة الأنشطة الاقتصادية بمختلف جوانبها

[1]- حسين مؤنس، المرجع السابق، ص3245.
[2]- علي محمد الصلابي، المرجع السابق، ص305.
[3]- عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص285.
[4]- المصدر نفسه ، ص285-286.
[5]- حاجيات عبد الحميد، ص37.

التجارية والصناعية، وهو ما كان له الأثر الواضح في إنعاش الحياة الاقتصادية وتحسن أحوال العامة، ما جعلهم يؤمنون بحقيقة هذه الدولة وصلاح عقيدتها المختلطة.

خـاتمة

توصلت مما سبق ذكره في هذا الموضوع من خلال ما مررت به في هذا الموضوع من أحداث سياسية وعسكرية ومذهبية فكرية للدولتين المرابطية والموحدية، يمكننا القول أن بلاد المغرب الإسلامي عاشت في الفترة الممتدة من ق 5هـ /7 هـ الموافق لـ 11م/13م تحت سلطة نظامي حكم إسلاميين قام كل واحد منهما بالدعوة إلى أفكار إصلاحية بصيغة دينية إسلامية مختلفة كليا عن بعضهما البعض.

فبداية كانت دولة المرابطين دولة قوية مترامية الأطراف استطاعت أن تحافظ على استمراريتها ووحدتها لفترة طويلة، ساهت من خلالها في توحيد معظم أجزاء بلاد المغرب إضافة إلى بلاد الأندلس، ومع ظهور حركة التوحيد التي دعا إليها ابن تومرت والأحوال الاقتصادية والسياسية التي تدهورت ودبت فيها الضعف مما أدا بها إلى إنهيارها برغم مجهوداتها في مجابهة الحركة التومرتية المناقضة لها.

وكذلك استغلال ابن تومرت لسذاجة المصامدة وسكان الجبال التي إمتزجت بميولة قبلية جعلت منهم القوة الضاربة للحركة السياسية الجديدة والداعمة لها، والتي كانت قد انجذبت إليه من خلال دعوته للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهي في الظاهر دعاية دينية إصلاحية وفي باطنها دعاية سياسية قدمها في صورة دينية جذبت واستعطف المغاربة وهي فالحقيقة دعوة سياسية

رغم أنه كان في زمن الدولة المرابطية علماء وفقهاء لا زال أثرهم في الأمة ساريا إلى يومنا هذا ومنهم القاضي عياض والذي كان صاحب موقف معارض وواضح إتجاه الدولة الموحدية والحركة المهدوية والتي كان يراها حركة ضالة وظالمة، إذ يعد من بين أهم ما وقف في طريق الحركة المهدوية وذلك بتوريث أفكاره ومناهجه وعقيدته من جهة ومحاربتهم من جهة، إلى أن دهاء ومكر ابن تومرت استطاع خداع عقول العامة وكسب قلوبهم لفترة من الزمن.

كما أن ابن تومرت يعتبر من خلال عقيدته هو الناشر الفعلي لعقائد الأشاعرة في بلاد المغرب الإسلامي ،بتأليفاته في مجال العقائد بفضل رحلته المشرقية وكذا عبقريته وتنظيمه لمنهجه مما ساعده في حشد الجموع المغربية حوله.

رغم المجهودات ابن تومرت في رسم ووضع دعائم دولته إلى أنه تركها بعد وفاته لخليفته من بعده عبد المؤمن بن علي ، والذي كما أظهر هذا الأخير مواهب سياسية فذة تمثلت في ابعاده لقبائل المصامدة عن الحكم والغائه لنظام الطبقات الذي وضعه ابن تومرت من قبل وهذا العمل يدل على عدم التزام عبد المؤمن بالمنهج التومرتي التزاما حرفيا كما أنه وضع أنظمة إقتصادية ساهمت في تقوية الوضع المالي وإزدهاره مما وضع الدولة والعامة في حالة من الرخاء الإقتصادي.

وخلال خلافة عبد المؤمن بن علي توسعت حدود الدولة الموحدية تحت نظام إداري مركزي موحدي وراثي ، كما أنها اصبحت تمثل قوة سياسية فاعلة قامت بتوحيد أجزاء كبرى من بلاد المغرب الإسلامي بعدوتيه المغربية والأندلسية.

ملاحق

الملحق رقم (01): امتداد حدود نظامي الحكم المرابطي والمواحدي[1]

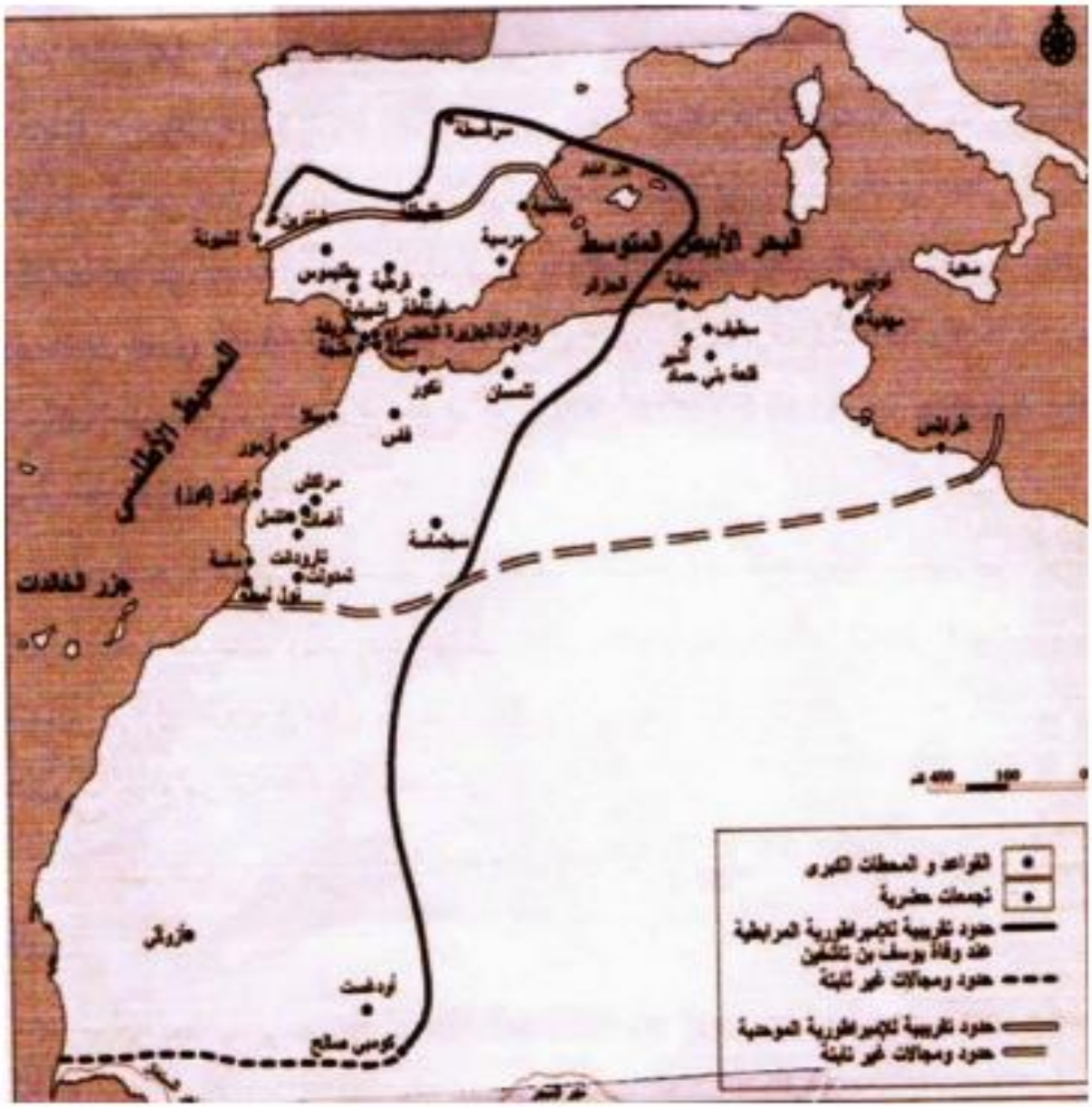

[1]- مغنية غردايين، نظام الحكم في بلاد المغرب في عهد المرابطين والموحدين دراسة مقارنة (ق05 و07هـ)، ص556.

الملحق رقم (02): مقتطفات من رسالة المهدي بن تومرت إلى جماعة الموحدين (الرسالة المرشدة أو المنظمة)[1]

نص الرسالة :

بسم الله الرحمن الرحيم، صلى الله على محمد وآله وسلم، الى جماعة اهل التوحيد[5]وفقهم لما يحبه[6] ويرضاه، سلام عليكم ورحمة الله وبركاته، اما بعد، فإنا نحمد إليكم الله الذي لا الا هو ونشكره على آلائه ونعمه، ونصلي على محمد نبيّه ورسوله، والذي نُوصيكم به تقوى والعمل بطاعته، والاستعانة به والتوكل عليه[7].

كتبنا إليكم هذا الكتاب بعدما اتصلت بنا اخباركم، وقيامكم في نصرة الحق واجتهادكم على إحياء السنة، وتألفكم وتعاونكم على إظهار الحق، واجتماعكم على إخماد الباطل والضلال، وجهاد المجسّمين والمفسدين، فحمدنا الله تعالى على ذلك وشكرناه اذ منّ علينا بالاخوان على اظهار الدين واحياء[8] السنة، امتثالا لقول الله تعالى : «وَاذْكُرُوا إِذْ كُنْتُم قَلِيلاً فَكَثَّرَكُمْ»[9]، فنبه على ان كثرة الإخوان والانصار منّة منه عظيمة، لأن[10] بأنصار الحق يظهر نور الحق وجمال الدين، وبه يهدم الباطل والضلال حتى تمحي[11] آثاره ورسومه، وتبقى بعده انوار الحق مشرقة واعلامه واضحة.

فلما كان الحق لا ينصر والدين لا يظهر الا بانصار الحق والمجاهدين عليه، عظم الله امر المجاهدين وبيّن فضلهم، واخبر ان الجهاد بالاموال والانفس تجارة تنجي من عذاب اليم، فقال تعالى : « يا ايها الذين آمنوا هل ادلكم على تجارة تُنجيكم من عذاب اليم» الى قوله : «ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ»[12]، فسماه تجارة لما فيه من الأجر الدائم، والثواب الباقي استعارة وتقريبا للأفهام، ليفهموا ما فيه ويرغبوا فيما ذكر فيه من درجات المجاهدين وما اعد الله لهم، فسمّى الجهاد تجارة لما فيه من البيع والشراء لأن المجاهد باع نفسه وماله من ربه، فاشترى منه ربُّه ماله ونفسَه بالثمن الباقي الدائم الذي لا زوال له وهو الجنة ونعيمها، فأخبرنا بذلك ليرغب فيه الراغبون، ويسعى فيه العاملون لعلمهم وتصديقهم بالوفاء والوعد من الله، فلما آمنوا به وصدقوه، وعلموه يقينا وحققوه، باعوا انفسهم من الله اذ لا شيء اعز عندهم منها، فلما عَلِمَ صِدْقَهم وإيمانهم اشترى منهم ما باعوا بالجنة التي فيها مالا عَيْنٌ رأت ولا أذن سمعت، ولا يبلغه الواصفون، ولا يحيط به العقل، قال الله تعالى : «إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ» (الى قوله) ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ»[13]. ولهذا عظّم الله الشهادة، وجعل القتل في سبيل الله حياة لئلا يظن الظان انه موت فقال تعالى في كتابه : « وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ» (الى قوله) وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ»[14]، وقال تعالى : «وَلَا تَقُولُوا لِمَن يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ (عند ربهم) وَلَٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ»[15] فلما علم رسول الله ﷺ فضل الشهادة أمر بذلك اصحابه وتمنى القتل في سبيل الله، فقال ﷺ : «وددت أني أقاتل في سبيل الله فأقتل ثم أحيى فأقتل ثم أحيى فأقتل» فكرر ذلك

[1]- مغنية غردايين، المرجع السابق، ص557.

الملحق رقم (03): تنظيم الجيش الموحدي[1]

[1]- مغنية غرداين، المرجع السابق، ص555.

الملحق رقم (04): التنظيم الإداري الموحدي[1]

جهاز الحكم	صاحب الشرطة متولي أشغال البرين		
	الحاكم	نواب الحاكم	نائب ببلاد المغرب أثناء نهاية الحكم (من الأسرة الحاكمة)
	الوزراء	ولاة الأقاليم	ببلاد المغرب ببلاد الأندلس
		وزراء أمراء وزراء إداريون	
الدواوين	الكتاب	كتاب مغاربة كتاب أندلسيون	
	ديوان الإنشاء ديوان الأعمال المخزنية ديوان العسكر		
الجيش	الجند المتطوعون	الأصناف الموحدية	أهل العشرة مجموعة الموحدين إلى 539 هـ مجموعة الموحدين بعد 539هـ
	الجند النظاميون	باقي الأصناف	العبيد جند الصطلب العرب الأفزاز
النظام المالي	ضرائب	ضرائب شرعية	الزكاة الأعشار الجزية
		ضرائب مستحدثة	الخراج ضرائب السلع في البيع والشراء
	صاحب الأعمال المخزنية		
	العاملين عليها	متولي المجابي المختصون بأمور النفقات والمحاسبة المشرفون المستخلص(الأملاك السلطانية)	
النظام القضائي	قاضي الجماعة		ببلاد المغرب ببلاد الأندلس
	خطة القضاء		خطة الشورى خطة الأحكام خطة الشورى خطة الأحكام خطة المواريث
	باقي المهام		حسبة السوق

[1]- مغنية غرداين، المرجع السابق، ص554.

قائمة المصادر

والمراجع

القرآن الكريم برواية ورش

قائمة المصادر:

1) الدباغ أبو يزيد عبد الرحمان بن سبعو الانصاري معالم الايمان في معرفة أهل القيروان، تح: عبد الحميد، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، ج3.

2) ابن أبي زرع علي بن عبد الله الفاسي، الأنيس المطرب بروض القرطاس في اخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، دار الطباعة المدرسية، 1823.

3) الحميري محمد بن عبد المنعم، الروض المعطار في خبر الأقمار، تح: إحسان عباس، ط1، مكتبة لبنان، بيروت، 1975.

4) ابن الأثير أبي الحسن، الكامل في التاريخ، ج8، دار صادر، بيروت، 1982.

5) لسان الدين محمد بن عبد الله بن الخطيب اللماني، الإحاطة في أخبار زعرناطة، تح: عبد الله عنان، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1977، ج4.

6) النويري أحمد بن عبد الوهاب، نهاية الآداب في فنون الأدب، تح: عبد المجيد الترحيبي، د طن دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2004، ج24.

7) ابن السماك العاملي، الحلل الموشية في ذكر الاخبار المراكشية، تص: بشير الفورسي، ط1، مطبعة التقدم الإسلامية، تونس.

8) عبد الواحد المراكشي البيان للمغرب في اخبار الأندلس والمغرب تح: إحسان عباس، ط3، دار الثقافة بيروت، 1983، ج4.

ـــ المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تر: صلاح الدين الوهواري، ط1، المكتبة العصرية، بيروت، 2006.

ـــ وثائق المرابطين والموحدين، تح: حسين مؤنس، ط1، مكتبة الثقافة الدينية، بور سعيد، القاهرة، 1997.

9) ابن خلدون عبد الرحمن، العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، د طن دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، 2007، ج6.

ـــ المقدمة، دار الفكر للطباعة والنشر، دط، لبنان، 2008.

10) ابن عذارى المراكشي، البيان المغرب في ذكر أخبار الأندلس والمغرب، تح: إحسان عباس، ط3، دار الثقافة، لبنان، 1983، ج4.
11) الناصري أبو العباس أحمد بن خالد، الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصة، تح: جعفر الناصري ومحمد الناصري، د ط، دار الكتاب، دار البيضاء، المملكة المغربية، 1954، ج2.
12) أبا عبيدة البكري، المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، ج2.
13) البيدق أبو بكر على الصنهاجي ، اخبار المهدي بن تومرت وبداية دولة الموحدين، راجعة عبد الوهاب بن منصور، ط2، الطليعة الملكية، الرباط، 2004.
14) ابن القطان، نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان، تح: محمود علي مكي، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1999.
15) ابن أبي دينار القيرواني، المؤنس في أخبار إفريقية وتونس، تح: محمد شام، المكتبة العتيقة، تونس، د ت، ط3.
16) ابن خلكان شمس الدين أحمد، وفيات الأعيان وأنباء الزمان، تح: احسان عباس، دط، دار صادر، بيروت، 1997م.
17) ابن تومرت، أعز ما يطلب، تح: عمار طالبي، موفم للنشر.
18) ابن غازي المكناسي، الروض الهاتون في أخبار مكناس والزيتون، الرباط، 1952.

قائمة المراجع:

1) جورج مارسيه، بلاد المغرب وعلاقاتها بالمشرق الإسلامي في العصور الوسطى، تر: محمود عبد الصمد الهيكل، راجع: مصطفى أبو ضيف أحمد، منشأة المعارف الإسكندرية، مصر، 1999.
2) حاجيات عبد الحميد وآخرون، كتاب مرجعي حول الجزائر في العصر الوسيط، منشورات المركز الوطني للبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، الجزائر، 2007.
3) حسن احمد محمود، قيام دولة المرابطين صفحة مشرقة من تاريخ المغرب في العصور الوسطى، دط، دار الفكر العربي، القاهرة.

4) حسن علي حسن، الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس عصر المرابطين والموحدين، ط1، مكتبة الخانجي، مصر، 1980.

5) حسين مؤنس، معالم تاريخ المغرب والأندلس، مكتبة الأسرة، مصر. يناير 1980.

6) حمدي عبد المنعم، محمد حسين، التاريخ السياسي والحضاري للمغرب والأندلس في عهد المرابطين، دار المعرفة الجامعية، سويس، مصر، 1997.

7) سعيد عباس نصر الله دولة المرابطين في المغرب والأندلس عهد يوسف بن تاشفين، ط1، دار الهدي من العربية، بيروت، لبنان، 1985.

8) العباس ابن إبراهيم السملالي، الإعلام بمن حل بمراكش وأغمات من الأعلام، مر: عبد الوهاب بن منصور، ط3، المطبعة الملكية، الرباط، 1993، ج8.

9) عبد الحميد حاجيات، تأسيس دولة الموحدين ، مجلة التاريخ، عدد8. المركز الوطني للدراسات التاريخية، الجزائر، 1980.

10) عبد الله كنون، ذكريات مشاهير رجال المغرب في العلم والأدب والسياسة، تر: محمد بن عزوز، ط1، دار الحزم، الدار البيضاء، للمملكة المغربية، ج2.

11) عبد الوهاب بن منصور، أعلام المرغب العربي، د ط، المطبعة الملكية، الرباط، 1978، ج1.

12) عقلية الغناء، قيام دولة الموحدية، منشورات جامعة قاريونس، بنغازي، ط2، 2008.

13) علي محمد الصلابي، تاريخ دولتي المرابطين والموحدين في الشمال الإفريقي، دار المعرفة، ط3، لبنان، 2009.

14) مبارك الميلي، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، دار الكتاب العربي، الجزائر ، ج3، 2007.

15) محمد الأمين محمد ومحمد علي الرحماني، المفيد في تاريخ المغرب، د طن دار الكتب، الدار البيضاء.

16) محمود السيد، تاريخ دولتي المرابطين والموحدين، د ط، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، مصر، 2007.

17) مغزاوي مصطفى، البعد السياسي في انتشار المذهب الأشعري في المشرق الإسلامي والمغربي، كنوز الحكمة، الجزائر، 2011.

الموسوعات:

1) موسوعة التاريخ الإسلامي (122-923هـ) وزارة الثقافة ، الجزائر.

الرّسائل الجامعيّة:

2) مليكة حميدي، المرأة العربية في عهد المرابطين (1056-1146)، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ، 2002.

3) محمد مجموعة عبد الله بن بيه الأثر السياسي للعلماء في عصر المرابطين رسالة ماجستير جامعة أم القرى كلية الشريعة والدراسات الإسلامية 1997.

فهرس الموضوعات

كلمة شكر وعرفان

إهداء

مقدمة .....أ

مدخل.....06

الفصل الأول

دوافع قيام دولة الموحّدين

المبحث الأول: مبرّرات المهدي بن تومرت في الحركة المهداوية 18

المبحث الثاني: موقف السلطة المرابطية من الحركة المهداوية.....21

المبحث الثّالث: المواجهة العسكرية 24

الفصل الثاني

مظاهر الانتقال السياسي في بلاد الغرب الإسلامي

المبحث الأول: سقوط السلطة المرابطية 32

المبحث الثاني: موقف العلماء والعامّة من الانتقال السياسي (القاضي عياض نموذجا) 38

الفصل الثالث

تداعيات الانتقال في بلاد المغرب الإسلامي

المبحث الأول: الإنتقال السياسي والإداري.....47

المبحث الثاني: التحول المذهبي.....50

المبحث الثالث: الإنتقال الإقتصادي 56

خاتمة 61

ملاحق 64

قائمة المصادر والمراجع 69

فهرس الموضوعات 74